
20
روايات مصرية للجيب
فانتازيا
من فعلها ؟

مقدمة

اسمها (عبير عبد الرحمن)

إنها لا تملك شيئًا من رقة اسمها ، ورشاقة اسمها ..

إن (عبير) ليست جميلة بأىّ مقياس ، ولا تجيد القتال أو قيادة السيارات ، وليست عالمة أو أديبة أو ممثلة ، ولا تملك مؤهلاً دراسيًا محترمًا ..

إن (عبير) هى إنسانة عادية إلى درجة غير مسبوقة .. إلى درجة تجعلها فريدة من نوعها .. وتجعلها جديرة بأن تكون بطلة السلسلة ..

لقد قابلت (عبير) (شريف) .. خبير الكمبيوتر الثرى الوسيم ـ والأهم من هذا ـ العبقرى .. وكان (شريف) وقتها يبحث عن فتاة عادية جدًّا ولا تملك أىّ ذكاء .. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز (صانع الأحلام) الذى ابتكره ، وهو جهاز قادر على استرجاع ثقافة المرء ، وإعادة برمجتها فى صورة مغامرات متكاملة ..

ولأن (عبير) تقرأ كثيرًا جدًّا .. ولأن عقلها مزدحم

بأبطال القصص ومواقف القصص ؛ صار عقلها خامة صالحةً لخلق مئات القصص المثيرة ..

(عبير) سترى القصص التى عشقتها .. ولكن مع تحوير بسيط : إنها ستكون جزءًا متفاعلاً فى كل قصة ! ستطير مع (سوبرمان) وتتسلق الأشجار مع (طرزان) .. وتغوص فى أعماق المحيط مع كابتن (نيمو) ..

وتزوج (شريف) (عبير) .. ربما لأنه أحبها حقًا .. وربما لأنه كان بحاجة إلى إبقاء فأر تجاربه معه للأبد .. ونعرف أن (عبير) حامل ..

وتواصل (عبير) رحلاتها الشائقة إلى (فانتازيا) .. ترى الكثير وتعرف الكثير .. وفى كل مرة ينتظرها (المرشد) ليقودها إلى حكايةٍ جديدةٍ ..

إن (عبير) تنتمى إلى (فانتازيا) .. أرض الخيال التى صنعها الكمبيوتر لها من خبراتها ومعلوماتها الخاصة .. وأعاد تقديمها لها من جديد ..

(فانتازيا) هى المهرب من براثن الواقع .. وكل الوجوه التى تتغيَّر ..

(فانتازيا) هى الحلم الذى صاغته عبقرية الأدباء

على مرّ السنين .. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءًا منه .. لكن هذا فى مقدورنا الآن ..

لسوف نرحل جميعًا مع (عبير) إلى (فانتازيا) .. نضع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى هناك ..

هو ذا جرس المحطةَ يدق .. وهدير المحركات يدوى .. إذن فلنسرع !

★ ★ ★

١ - أيام قاسية ..

فى سبتمبر من العام ذاته أصيب (شريف) بنوبته القلبية الأولى .. والحقيقة هى أنها الثالثة ، لكنه فى المرتين السابقتين كابر وضغط على أعصابه ، وفسّر الألم الممض فى صدره بأنه إرهاق أو برد ..

هذه المرة كان الألم ساحقًا ماحقًا .. وهو ألم يستحقه بجدارة مع إفراطه فى التدخين بعدما أقلع عن .... أقراص النعناع ..

لقد احتاج الأمر إلى إرادة حديدية للإقلاع عن التدخين وإدمان النعناع ؛ ثم احتاج الأمر إلى إرادة أقوى للإقلاع عن النعناع والعودة إلى التبغ والقهوة .. ثم التوتر ..

كل مصممى البرامج والمبرمجين متوترون دومًا .. كل رجال المصارف والأدباء أعصابهم شعلة من النار الحارقة ، لهذا يصابون بارتفاع ضغط الدم والقرحة والأزمات القلبية أكثر من سواهم ..

سيقولون : إنه صغير السن .. حرام !

لكن (شريف) لم يعد صغير السن .. لقد جعل التفكير المتواصل والتوتر الدائم قلبه يشيخ ثلاثين عامًا.. (شريف) نفسه لم يندهش حين عرف أن الألم سببه أزمة قلبية ، بل اندهش أكثر لأن قلبه ظل يحتمله طيلة هذه الأعوام ..

* * *

وفى العناية المركزة بكت (عبير) كثيرًا جدًّا ، وراحت تحتضن (شذى) - الرضيعة التى تجهل كل شىء عما يحدث - إلى صدرها .. هو ذا النحس المعتاد فى حياتك يا (عبير) يعود معلنًا عن وجوده فى حزم .. هو ذا أبو طفلتك على شفا الهاوية ، والطفلة لم تخط على الأرض خطوة واحدة بعد ..

لحسن الحظ لم يكن (شريف) من هواة التمارض ولا هواة تعذيب الآخرين ، فلم يداعبها تلك المداعبات القاسية أو يقول لها كلمات مخيفة على غرار (تشجعى) أو (شدى حيلك) وهو يسبل عينيه ، والحقيقة هى أنه كان أنضج من تلك الألعاب الصبيانية ..

كان يبتسم لها مشجعًا ويؤكد أنه على ما يُرام ..

ها هو ذا عالمها الواقعى القاسى الذى لا يكف عن توجيه الكلمات لها .. لو مات (شريف) فهى ضائعة تمامًا .. كطفل أضاع أمه فى زحام السوق .. لا تعرف من أين تبدأ الحياة ..

الطفلة تضرب يدها وتصدر أصوات لهو مرحة .. إنها لا تفهم ..

المشكلة أنها لا تفهم ..

قال لها (شريف) بصوت منهك :

ـ « (عبير) .. ثمة أشياء يجب أن تعرفيها .. إن حساب المصرف قد .. »

هنا أخرسته بكف حازمة على شفتيه ..

كأننى أنقصك أنت أيضًا ! كانت قد أقسمت أن تحطم أنفه .. لو بدأ الكلام عن (حساب المصرف) و (النقود الموضوعة فى المزهرية الثقيلة فى قاعة الجلوس) ..

ـ « ستستعيد صحتك حالاً .. كف عن الهراء .. »

ـ « بعض الاحتياط لن يضرّ أحدًا .. »

- « بل هو يضرنى نفسيًا .. اخرسى يا بلهاء ! »

كذا صاحت فى الطفلة التى بدأت تعوى ، ذلك العواء المحطم للأعصاب الذى يصدرونه كأنما يتعمدونه .. هذه الطفلة قادرة على البكاء ثلاث ساعات دون توقف لو قررت هذا ..

وهنا جاءت الممرضة الحازمة تخبرها أن موعد الزيارة قد انتهى ..

* * *

وتذهب (عبير) لزيارة أمها فى الموعد المعتاد : الثانية عشرة ظهرًا ، وتتحمل نصائحها التى لا تنتهى بصدد العناية بـ (شذى) ..

- « الحفاضات » - تقول الأم - « اختراع مؤذ لجلد الأطفال .. فى شبابنا لم نسمع قط عن هذه الأشياء .. كنا نلف الطفل فى بطانية طيلة الليل حتى يظل دافئًا ! »

وعند أمها يغدو الهدف الوحيد الأسمى للحياة هو أن يكون الطفل دافئًا .. دافئًا إلى درجة خنقه وإصابته بالإجهاد الحرارى الذى يصيب من ضلوا طريقهم فى الصحراء ..

كل المصائب تأتى من تيارات الهواء ، بدءًا بالسعال وانتهاء بسرطان الشبكية .. هكذا تؤمن ..

تسألها عن صحة زوجها ، فتهز (عبير) رأسها :

ـ « يتحسن .. كنت عنده الآن .. »

فتمصمص الأم شفتيها مؤكدة أن الحسد هو سبب كل ما يحدث ..

وهى تعرف بالذات أن (أم بلبل) الشمطاء هى مصدر الحسد ..

ثم تسألها فى حذر :

ـ « كيف تقيمين وحدك فى هذا البيت يا (ضنايا) ؟ أقترح أن تأتى وابنتك للإقامة هنا حتى يشفى زوجك .. »

فتقول (عبير) للمرة الألف :

ـ « من العسير أن أترك بيتى يا أمى .. وعلى كل حال هو مجاور للمستشفى ويمنحنى سهولة الحركة .. »

ـ « لكنى لا أطمئن عليك لحظة فى وكر الأفاعى هذا .. خاصة أن الشمطاء المتعالية .. هذه المرأة لا تطيقك .. لكنها لا تظهر هذا .. »

فتوشك (عبير) على سدّ أذنيها كى لا تسمع المزيد من هذا الكلام ..

هل هذا وقته ؟

* * *

فإذا واتاها الحظ وكان أخوها موجودًا ، جلس يفرك لفافة التبغ (السوبر) بين أنامله ، ومعصمه المضمّد بالشاش دائمًا لسبب مجهول .. ثم يقول لها وهو يشعل الثقاب :

- « ثمة أمور مهمة يا (عبير) خاصة فى زيجات غير متكافئة كهذه .. مثلاً لمن كتبت الشقة ؟ هل لك حساب فى المصرف ؟ هل لديك مصاغ ؟ »

تبدى احتجاجًا على أسئلة كهذه ، فيقول :

- « الأعمار بيد الله .. لكن كل شىء فى حياتك مربوط الآن بزوجك .. وزوجك ... الأعمار بيد الله .. أنت حمقاء كدأبك ولا تفهمين حرفًا عن الحياة الخارجية .. ولم تحاولى لحظة أن تضمنى مستقبلك ومستقبل هذه الطفلة .. »

تقول فى غيظ :

ـ « (شريف) يعرف ويفعل كل شىء .. »

ـ « و (شريف) الآن مريض وربما فى خطر .. فما هو الحل ؟ »

ويشعل اللفافة من عود الثقاب الذى أحرق أنامله ، ثم يسحب الدخان بطريقته الشهيرة عن طريق كفه المضمومة على طرف اللفافة .. ويسعل مرتين ..

ـ « يجب أن تكبرى وتفهمى الحياة .. »

وتقول أمها وهى تسكب له القهوة فى كوب زجاجى صغير :

ـ « قل لها يا بنى ! قل لها ! »

* * *

كانت قلقة ..

لكنها كانت تعرف أن الأمور ليست بهذا السوء .. سيعود (شريف) إلى صحته المعهودة ببساطة لأنه لن يموت .. وعلى كل حال هى آخر من يبالى بهذا الهراء .. حساب مصرفى .. بيت .. إلخ ..

إنها لم تفهم المال قط طيلة حياتها .. كانت تعرف أنها لا تملك ما يكفى منه ، لكنها لم تشعر قط أن هذا يجعل الحياة أعقد .. وحتى حين تزوجت لم تلحظ قط أن زوجها ثرى .. فقط لاحظت أن الحياة صارت أنعم وأسهل وأكثر رغدًا ، لكنها لم تربط بين هذا وبين المال .. ربطت بينه وبين (شريف) فقط ..

كانت حمقاء فيما يتعلق بالمال ، وكان منظرها وهى تعد مائة جنيه جديرًا بالمشاهدة .. تمسك الأوراق كأنها (كوتشينة) وترتبك وتسقط ثلاثين جنيهًا على الأقل على الأرض .. لم تتعلم قط كيف يعدّ (الماديون) المال بخبرة وسرعة وثقة ..

إنها خيالية ، وقليلون هم الخياليون الذين يهتمون بالمال ..

يعطيك هذا فكرة أفضل عن المأزق الذى ستجد نفسها فيه لو حدث شىء ما .. إنها عمليًا لا تعرف شيئًا على الإطلاق عن الحياة الخارجية سوى أنها تهابها وتمقتها ..



وفى المساء عادت من العناية المركزة مجهدة شاعرة أن الأمور لم تكن على ما يُرام .. كان (شريف) منهكًا بحق ، وكانت تلك الخطوط الخضراء على الشاشة تتواثب فى جنون .. لم تكن تفهم ما تراه لكنها رأت طابورًا من الجمال ذات السنام ، وقد تعلمت أن تتوقع الشر كلما رأت هذه الجمال ..

فرغت من العناية بالطفلة ، وأرضعتها وأبدلت لها الحفاضة ، وهزتها حتى نامت ..

ثم إنها نهضت وراحت تذرع الشقة فى قلق ..

غرفة الكمبيوتر مواربة لكنها ترى فى الضوء الخافت الجهاز الغافى والأقطاب بجواره ..

ـ « وهل هذا وقته يا بلهاء ؟ »

كان الإغراء قويًا .. بالفعل كان هذا وقته ..

إن ساعةً واحدةً فى (فانتازيا) لن تضرَ أحدًا ، وسوف تساعدها على احتمال الواقع القاسى المرير .. و ـ قبل كل شىء ـ المنذر بالخطر .. لِمَ لا ؟

ساعةً واحدةً بعدها تغدو أفضل وأقدر على تحمل ما يحدث حولها .. وهى قد جربت أكثر من مرةً أن تشغل (دى - جى - ٢) وحدها ، وفى كل مرة لم يحدث شىء مخيف ..

ساعة واحدةً ..

لِمَ لا ؟

وها هى ذى تجلس أمام المقعد وتضع الأقطاب على رأسها ، وتأخذ نفسًا عميقًا ، ثم أمام علامة المحثّ تكتب اسم البرنامج ..

C:\> DG-2

وتضغط زر الإدخال ..

* * *

٢ ـ من فعلها ؟

جلس (المرشد) جوارها فى قطار (فانتازيا) الصغير الشبيه بقطار فى مدينة ملاه .. وقال وهو يخرج القلم الزنبركى من جيبه :

ـ « هل فى ذهنك شىء معين ؟ »

هزّت رأسها على عنقها الرفيع ، وقالت :

ـ « أريد أكبر قدر من التسلية .. أكبر قدر من النسيان .. »

ابتسم فى مرارة وهو يدق بعصا على السقف مرتين كى يتحرك القطار :

ـ « تبدين فى حالة سيئة .. »

ـ « أسوأ مما تتصوّر .. »

راح يصدر صوت (تكتكة) القلم إياها ، بينما القطار يتأرجح وسط مملكة الخيال هذه ، وكان ديناصور من

طراز (تيرانو سوروس) يلتهم ديناصورًا من طراز (ترايسيراتوبس) وهو يزوم فى جشع واستمتاع .. بدا لها صوت تمزيق اللحم بشعًا للغاية ..

قالت له فى اشمئزاز :

- « يا له من مشهد تستقبلون به الزوار المتوترين المرهقين ! »

- « كنت أودّ أن أعتذر، لكننا هنا داخل عقلك ذاته .. وعلى كل حال هذا هو مسلك الطعام العادى لدى (تيرانو سوروس - إكس) أو (تى - ركس) كما يدللونه .. »

- « لا أفهم فى موديلات الديناصورات ، فلا تقل لى إن هذا هو الطراز المعدّل منه.. دعنا نر شيئًا آخر .. »

ودارا حول مدينة من مدن المستقبل ، تحلق فيها العربات الهوائية والدراجات البخارية الطائرة ، ثم انعطفا نحو مدينة من مدن (الإزتك) الذهبية التى ينهبها جنود (كورتيز) بدروعهم الحديدية مطيرين رقاب البدائيين البؤساء ..

ويهبط القطار إلى واد عميق بين الجبال امتلأ بالعميان ، ثم يصعد إلى حيث الثلوج تكلل قمم الجبال ، ورجل الجليد (المى - جى) يعوى بلا انقطاع فتتساقط الثلوج من فوق أبراج كهنة (التبت) ..

قال لها (المرشد) :

- « كل هذا لم يرق لك ؟ إنك فى حال سيئة حقًا ! »

ثم يمرّ القطار بقطار آخر مماثل يمشى على قضيب موازٍ ، وفيه يركب (مرشد) آخر ، وفتاة سمراء نحيلة كاسفة البال ..

صاحت (عبير) مذهولة :

- « ما معنى هذا ؟ أرانى وأراك ! »

قال ضاحكًا :

- « إن (فانتازيا) قصة خيالية كأية قصة أخرى ، لهذا احتلت مكانها فى مملكة الخيال هذه .. إن الفتاة (عبير) تخوض الآن مغامرة اسمها (من فعلها ؟) .. هل تريدين اللحاق بها ؟

- « بالطبع لا ! »

وأردفت فى عصبية :

- « جئت هنا لأهرب من ذاتى .. وها هى ذى ذاتى تلاحقنى .. »

- « رضينا بالهمّ .. والهمّ لا يرضى بنا ! »

وابتعد قطارهما عن قطارهما ، وراحت معالم أخرى تتبدى لعينيها المكتئبتَين ..

هذا سور عملاق شامخ كالذى اعتادت أن تراه يحيط بإبداعات مفكرٍ معين ، مثل (شكسبير) أو (تشيكوف) أو (نجيب محفوظ) .. الذين خلقوا عالمًا كاملاً متشابكًا يختلف عن الآخرين ..

قالت له :

- « عالم من هذا ؟ »

هنا رأت اللافتة العملاقة التى تقول (من فعلها ؟) .. من فعلها ؟ يا له من مصطلح غريب ! فعل ماذا بالضبط ؟ وتداعت إلى ذهنها بعض الخواطر البيولوجية المتعلقة بالجهاز الهضمى ، والتى أرجو إعفائى من ذكرها فى هذا الكتيب المهذب ..

قال (المرشد) وهو يداعب قلمه :

ـ « تك تتك ! ليس هذا عالم كاتب بعينه ، بل هو عالم نوع معين من الكتابات .. (من فعلها ؟) أو (Whodunit`s) هو مصطلح يشير إلى القصص البوليسية ذات الطابع الواحد المميز : جريمة قتل ـ التحقيق فى جريمة القتل ـ إماطة اللثام عن القاتل فى النهاية ، وهو دائمًا آخر من يمكن الاشتباه فيه ..

قالت فى سأم :

ـ « لقد مررت بقصة مماثلة فى أولى زياراتى لـ (فانتازيا) .. كان لى لقاء مع (شيرلوك هولمز) و (هيركيول بوارو) فى قصة واحدة .. »

قال باسمًا :

ـ « لا شىء يماثل شيئًا فى (فانتازيا) .. فى هذه المرة يمكنك مقابلة هؤلاء ومس (ماربل) و (سولار بونز) و (إيرلى كوين) والمفتش (ميجريه) .. كلهم فى مكان واحد .. »

- « ولكن لا شيء يحدث فى تلك القصص سوى التحقيقات ، ومزيد من التحقيقات ، وكثير من التحقيقات ، وملايين التفاصيل الكثيرة المرهقة عن آثار الأقدام فى الحديقة قبل وبعد هطول المطر ، والساعات التى تحطمت وعقاربها تشير لساعة القتل ، وعقب السيجارة الملوث بأحمر الشفاه ... و ... و ... كل هذا مرهق جدًا ، وفى النهاية يتضح أن القاتل هو لورد (إيمرى) .. وما دخلى بكل هذا ؟ »

ابتسم فى تهكم كعادته واسترخى فى مقعده ، وقال :

- « لا ألومك كثيرًا .. (هتشكوك) إنه يفضل (التشويق) على (الغموض) لهذا - فى أكثر أفلامه - نعرف القاتل من اللحظات الأولى للقصة .. ثم ننتظر فى رعب ما عساه يفعله .. »

« يقول (هتشكوك) إن لذة هذه القصص تنتهى لو اختلس القارئ نظرة إلى آخر صفحة .. وقد حدث أن محطة تلفزيون أمريكية كانت تذيع مسلسلاً من هذا الطراز ، فقامت محطة منافسة بتقديم خبر فى نشرات أخبارها : القاتل هو الخادم ! هكذا مات المسلسل قبل أن ينتهى ! »

« لقد قدمت (أجاثا كريستى) مسرحيةً (المصيدةَ) عن قصتها (ثلاثة فئران عمياء) ، والتى ظلت تعرض عدّة عقود فى (لندن) .. وكان بطل المسرحية يخرج للناس فى نهاية العرض يرجوهم ويتوسل إليهم أن يكتموا السرّ ، ولا يخبروا به أصحابهم عندما يعودون إلى ديارهم .. طبعًا حفظ الإنجليز السرّ لأنهم اعتبروه من مقومات كرامتهم الشخصية ، لكن القصة كلها تعكس نقطة ضعف هذا النوع من القصص ..

« وعلى فكرة ـ دون إهانة لأحد ـ القاتل هو ضابط الشرطة فى مسرحية (المصيدةَ) ! »

ابتسمت (عبير) للمرة الأولى ، وبدا لها العرض مغريًا إلى حدّ ما .. قالت للمرشد وهى تسوّى ثيابها :

ـ « ليكن .. دعنا نر عالم (من فعلها ؟) هذا .. ولكن عدنى أن تكون قصة شائقة تختلف عن الطابع الممل المعروف .. »

ـ « علىّ أن أسعى ولكن ليس علىّ إدراك النجاح ..»

وجذب الحبل ليوقف القطار ..

وبدأت قصتنا اليوم من هنا ..

★ ★ ★

٣ - إنجلترا من جديد ..

إنجلترا الثلاثينات من هذا القرن ..

عرفت المكان وخمنتْ الزمان ، وأثبت غلاف (التايمز) حدسها حين رأته عند باعة الصحف .. كانت ترتدى تايورًا ورديًا أنيقًا وعلى رأسها قبعة أكثر أناقة ، وأدركت أنها شقراء رشيقة كالحلم .. لكنها - ككل مرة - لم تدر ما المطلوب منها ، ولا كيف تبدأ ..

مرت عليها ساعتان فى الطرقات تتأمل جرس قصر (بكنجهام) .. وتمشى فى ميدان (ترافلجار) - الطرف الأغرّ - تتأمل الناس أو تجلس إلى مقعد لتطعم الحمام ..

بدأت فى قلق تتساءل : هل نسيها (دى - جى - ٢) ؟ إن الملل يحدث فى (فانتازيا) كأى مكان آخر ، وهى لم تأت هنا كى تلعب دور السائحة الفرنسية أو الأمريكية .. لابد من شىء يحدث .. لابد ..



كاد المساء يدنو حين جاءها حيثا جلست فى الحديقة ، وصاح فى سرور :

- « (ملدريد) ! لن تتصورى مدى سرورى برؤيتك ! »

- « ليس إلى مدى سرورى .. كنت أموت سأمًا ! »

وتأملته .. كان شابًا متأنقًا بادى الثراء ، أشقر الشعر له خصلة طويلة تهبط على عينه اليمنى من آن لآخر ، والملامح هى ملامح (شريف) ذاتها بعد إضفاء طابع إنجليزى عريق عليها ..

كم أن (شريف) زوجها وسيم وملامحه مناسبة لأى غرض ! لقد رأته محاربًا إغريقيًا ورأته حاويًا هنديًا ورأته راعى بقر فظًا ، وفى كل مرة كان مقنعًا بشدة ..

اليوم لم تدر قط كم أن ملامحه مناسبة لدور شاب إنجليزى تلوح عليه آثار النعمة ..

قال لها وعيناه تلتمعان سرورًا وانفعالاً فى الآن ذاته :



كاد المساء يدنو حين جاءها حيث جلست فى الحديقة ، وصاح فى سرور : « (ملدريد) ! لن تتصورى مدى سرورى برؤيتك ! »

- « لن يكن ما قاله أبى ذا بال ، وما كان لك أن تتركى (جارفيلد هاوس) بهذه البساطة بمجرد أن لمَح أنه يرفض حبنا .. »

هنا بدأت تجمع الخيوط ، وتفهم نقطة البداية :

(ا) اسمها (ملدريد) .

(ب) هذا الفتى هو وريث قصر يُدعى (جارفيلد هاوس) .

(جـ) واضح أنهما متحابان .

(د) الأب القاسى يرفض هذه العلاقة .

(هـ) واضح أن سبب رفض العلاقة هو عدم التناسب الاجتماعى ..

إذن هى من طبقة أكثر فقرًا .

(و) يبدو أنها تركت القصر غضبى ، وراحت تجوب الشوارع بلا أمل ، ولعلها كانت منتحرة فى (التيمز) لو لم يجدها الفتى .

وكما يحدث فى (فانتازيا) فى كل مرة ، وجدت نفسها وقد اندمجت فى الحدث ببساطة ، وصارت تملك ماضى الشخصية وحاضرها وغدها .

لهذا أشاحت بوجهها وقالت :

ـ « لقد لمح اللورد (فريوورد) إلى أن كل ما يهمنى هو الميراث ، وأنا لن أنتظر نتيجة هذا الاختبار المهين .. إما أن يصدق أو الوداع لـ (جارفيلد هاوس) ..»

جلس جوارها وأمسك يدها فى رفق ، وترقرق الحنان فى عينيه :

ـ « أنا أعرف أن هذا غير صحيح .. ألا يكفى رأيى ؟

ـ « لن يكون الحرمان من الإرث أقل ما يعاقبك به ..»

ـ « ليست الأمور بهذا السوء .. ثم إننى ـ إذا جدّ الجدّ ـ غير راغب فى مليم من إرثى .. »

ونظرت لوجهه الهائم المتيم ، وعلى الفور فهمت أنه من النوع الذى يطير الحب صوابه ، والذى يعتبره من هم أكبر سنًا وأكثر تقديرًا للمال ؛ يعتبرونه مستهترًا تافهًا .. هذا طراز من الرجال يضعون فؤادهم فى مرتبة أعلى بكثير من عقولهم .. طراز لا يحبّ ولكن (يندلق) إذا سمحتم لى بتعبير كهذا ..

طبعًا فى دنيا الواقع لم تلق شابًا من هذا النوع قط ، لكن (غادة) صديقتها الحسناء قابلت كثيرين ، وكان

كل منهم على استعداد للنوم فوق شريط ترام (النزهة) لو طلبت (غادة) منه ذلك .. ولقد تعلمت (عبير) أن تميز هذا الطراز من الرجال بمجرّد النظر ..

كان مصريًا كالخرتيت ، وهكذا وجدت نفسها تلحق به إلى عربته العتيقة - الجديدة فى هذا العصر - وجلست جواره صامتة ، بينما هو يقودها إلى ضواحى (لندن) .. إلى حيث (جارفيلد هاوس) ..

كان قصرًا يماثل فكرتها الانطباعية عن قصور اللوردات .. ذات الحديقة المهندمة والممر الطويل بين الأشجار ، والبستانى الذى يشبه أحد اللوردات بدوره ، والكلاب الإلزاسية تتريض ، بينما جيش من السيارات يقف أمام المداخل ، وجيش من الخدم يتحرك هنا وهناك .. وكانت هناك نافورة تحيط بها تماثيل عرائس البحر يأتين بأشياء لا تدرى ما هى .. حركات الأيدى المفتعلة المميزة لـ (إخوة ما قبل رافائيل) فى لوحاتهم وتماثيلهم .. طبعًا لم تفهم هذا لكننى أقوله !

وعلى الباب قابلهما رئيس الخدم الشبيه بأساتذة الجامعة :

- « آه .. قد عاد سيدى مع الآنسة .. مرحبًا .. »

قال الفتى (فريوورد) :

- « شكرًا يا (هنرى) .. إن الآنسة (ملدريد) قد ضلت طريقها فى (لندن) ، فهى لم تعتد شوارعها بعد .. »

رفع الرجل حاجبيه فى وقار ، وغمغم :

- « أوه .. أرى .. »

كانت اللغة الإنجليزية المستعملة هى أرقى لغة إنجليزية يمكن سماعها فى العالم كله .. الإنجليزية الأوكسفوردية كما يقولون ، والتى تعنى كل العناية بالصوتيات ومخارج الحروف .. وتشبه الفصحى عندنا إذا ما دققت فى الإعراب وراعيت القلقلة وخلافه ..

نظرت (عبير) حولها فى شك ..

حتمًا ستحدث جريمة قتل هنا .. هذه هى التقاليد .. تتجه الشبهات إليها أو إلى الوريث لأن القتيل سيكون اللورد ذاته .. لا بد أنه سيقتل فى غرفة مكتبه أو يقدم له أحدهم عشاء مليئًا بالزرنيخ ، ثم يتخلص من المسدس / قارورة السمّ فى النافورة .. بعد هذا يجىء رجال (سكوتلانديارد) ليحققوا فى الجريمة الغامضة ويعلنوا عجزهم التام .. ثم يتم استدعاء (بوارو) أو (إيلرى كوين). أو (هولمز) للتحقيق ..

أمامها إلى أن تدور عجلة الأحـداث حشد لا ينتهى من الواجبات الاجتماعيةِ والعواطف المملة ..

متى ينتهى كل هذا إذن ؟

* * *

والآن دعنا نتعرف شخصيات الرواية على الطريقـة القديمة :

• لورد (آرثر فريوورد) : صاحب كل هـذا العزّ .. وهو ـ كالعادة ـ محارب متقاعد كانت له صولات فى (الهند) وفى (جنوب إفريقيا) مع الأخ (شاكا زولو) زعيم قبائل (الزولـو) الأسطورى ، وفـى النهايـة استقرّ فى هـذا القصر ، وظفر بكل تلك الأمراض التى يعانيها الآن .. ليس عجوزًا إلى هذا الحدّ لكنه مريض جدًّا ، ومزاجه كمزاج الشيوخ الذين لم تهبهم السنون حكمةً بل نفاد صبر وضيق خلق .

• ليدى (فريوورد) : زوجته طبعًا ، وهى حسناء برغم أنها فى الأربعين من عمرها ، ويقال إنها من طبقة متدنية لكن اللورد تزوجها لأنه أحمق .. تحبّ

زوجها كأية زوجة ، يكبرها زوجها المليونير بعشرين عامًا ، ودون ذكاء كبير نقول إنها لا تفكر إلا في الميراث صباحًا ومساءً ، وتعنى بزوجها عناية جمة لكنها لم تدسّ له الزرنيخ فى كوب اللبن بعد .

• (سارة ماكلارين) : ابنة أخت ليدى (فريوورد) وتقيم معها هنا ، وهى حسناء بدورها لكنها ثعبان حقيقى أملس ، وبالطبع كان الجميع يتوقع أن تتزوج من ابن اللورد .. هذه هى طبائع الأشياء حتى إن الأب بدأ يميل بفؤاده فى اتجاه غريب بعض الشىء .

• (مايكل فريوورد) : عرفناه حين قابل (عبير) فى بداية القصة ، وهو فتى رقيق مرهف الحس خيالى جدًا ، ويعتبره أبوه أحمق أهوج معتوهًا ، وبالطبع ازداد اقتناعًا بهذا بعد ما عرف أن ابنه يهوى المربية الرقيقة (ملدريد) .. لهذا كانت تهديداته صريحة بالحرمان من الميراث .. طبعًا (مايكل) هو ابن اللورد من زوجته الأولى .

• (جون فريوورد) : طفل فى الثانية عشرة من عمره ، هو الذى تتكفل (ملدريد) بتربيته ، وهو ابن اللورد من زوجته الثانية .. يهيم بـ (ملدريد) حبًا ، مازجًا تعلق الأطفال بالمعلمة بحب المراهقة الدامى الملتهب الأليم .. (ملدريد) تجده فتى لطيفًا مهذبًا وتتساءل كيف خرج من رحم تلك الأفعى المسماة ليدى (فريوورد) .

• (هنرى) : رئيس الخدم فى القصر ، وهو خادم إنجليزى قحّ بوقاره وكبريائه وأناقته ، ولم نذكره هنا إلا لأن الخدم يقتلون اللورد دائمًا فى قصص (من فعلها ؟) هذه .. إنه المتهم الرئيسى .. صحيح أنه لم تحدث جريمة بعد لكن الاحتياط واجب .

• (ملدريد) / (عبير) : المربية الرقيقة التى يحبها كل من لا يكرهها .. والتى أحدثت انقلابًا فى (جارفيلد هاوس) من الواضح أنها غيّرت خطط الوريث بصدد الزواج من (سارة) ، ومن الواضح أن (سارة) تكرهها كالشيطان ، ومن الواضح أن (سارة) جعلت

خالتها تكرهها بدورها ، ومن الجلىّ أن الخالة جعلت زوجها يكرهها .

ستحدث جريمة قتل إذن ..

لكن من هى الضحية ؟ هذا طراز جديد من القصص يمكن تسميته (من القتيل ؟) أطالب بحق الأداء العلنى له ..

اللورد مرشح بشدة ليكون القتيل ، وأنتم توافقوننى على هذا ..

(مايكل) مرشح لأنه الوريث ، ولأن (سارة) تكرهه ..

(عبير) مرشحة لأن ثلاثة أطراف تكرهها كالجحيم ..

لكن القتيل لم يكن من هؤلاء لشدة الغرابة ..

كان القتيل هو الليدى (فريوورد) ذاتها !

* * *

٤ - بداية لغز ..

هذا - ترون - سبق جديد فى القصص من هذا النوع ، فمن المعتاد أن يكون القاتل هو آخر شخص تتجه له الشبهات ، لكن فى حالتنا هذه صار القتيل هو آخر شخص يمكن أن يصير قتيلاً ..

ولنحك القصة من بدايتها :

★ ★ ★

كانت (عبير) جالسة فى غرفة (جون) تؤدى دورها فى تربيته ..

أحضرت كتاب أغانى الأطفال وراحت تدندن له ، بينما هو فى الفراش ينظر للسقف مصغيًا .. كانت العاشرة مساءً والهدوء يعمّ المكان ما عدا صوتها الرقيق ، والحقيقة أن (جون) قد كبر كثيرًا على هذه الأغانى لكنه كان يصرّ على سماعها ، وبرغم أنه لاينام من دونها ، والسبب - كما لم يقل - هو أنه

يستمتع بصوت (عبير) / (ملدريد) الهامس الرقيق الذى ينقله إلى عوالم الحلم ..

كان كتابًا صقيلاً سميك الغلاف ، امتلأ برسوم ملونة جذابة تترجم حرفيًا كل أغنية ، وفى هذه اللحظة بالذات كانت تقرأ له :

« أنا أرى القمر والقمر يرانى
اللّه يرعى القمر واللّه يرعانى »

وتساءلت فى سرّها عن سر حماس هذا الشاب الصغير الذى أوشك شاربه على الظهور ، لهذه الأغانى الطفولية البسيطة ..

دوّى صوت الطلقة النارية التى ارتجت لها الدار كلها ، فوثبت (عبير) فى الهواء ، ثم أشارت بيدها إلى الفتى كى يظل حيث هو وينام .. كأن من السهل أن يسمع المرء طلقة رصاص ويتجاهلها ويواصل النوم ..

غادرت الغرفة جريًا .. إن الطلقات المنفردة تبدو أصخب وأعلى صوتًا من الطلقات المحتشدة التى تنطلق من بندقية آلية مثلاً ..

كان كل الخدم يتبادلون النظرات متسائلين ، وقد تفرقوا على درجات السلَم فى أوضاع جديرة بمسارح الأقاليم ..

وظهر (مايكل) من مكان ما ، وهرع إلى أعلى .. على الأقل ليس هو القاتل ولا القتيل .. هذا مطمئن لحدَ ما ..

ثم ظهرت (سارة) وجرت إلى أعلى كالعادة ، وهنا قررت (عبير) أن الوقت قد حان لتلحق بهؤلاء جميعًا ..

فى تردد صعدت الدرجات وقدماها ترتجفان .. كساقى الضفدعة التى كان (جلفانى) سيطبخها لزوجته ، ثم عدل عن ذلك ليكتشف الكهرباء المجلفنة ..

ومن عل رأت رئيس الخدم يواصل قرع الباب :

ـ « ليدى (فريوورد) .. لآخر مرة أسألك أن تفتحى الباب .. »

وصاحت (سارة) متوترة بصدد خالتها :

ـ « هشم الباب يا (هنرى) .. أرجوك .. »

بتحفظه المعتاد غمغم :

ـ « سيكون سلوكًا غير حضارى أن أقتحم مخدع الليدى .. لو كانت حية لكان تفسير عملى عسيرًا .. »

ثم ناول المفتاح لـ (سارة) :

ـ « يمكن البدء بهذا يا آنستى .. على الأقل لن يكون دخولنا اقتحامًا لو سمحت لى بقول هذا .. »

ـ « أرى .. »

ومدت يدها وأولجت المفتاح فى الباب .. طبعًا .. كان موصدًا من الداخل ، لهذا لم يعد مناص من أن يدعو (هنرى) البستانى والسائق ـ وكلاهما ثور ضخم الجثة ـ كى يهشما الباب بكتفيهما ..

تم الاقتحام ، وانتظرت (عبير) فى ملل سماع صرخة (سارة) حين تجد جثة خالتها .. إن كل هذه القصص تتشابه ..

ـ « آآآآآآآه ! خالتىىىى ! »

ببطء بدأ الواقفون على الباب يدخلون الغرفة ، وقد

شعروا بشكل ما أن هذا لم يعد (خدر السيدة) بل هو (مسرح جريمة) وسيطرت الرهبة عليهم ..

الآن يتزاحم الجميع على باب الحمام الملحق بغرفة النوم ، والكل يحاول أن يدس برأسه فى الفتحة الضيقة ليرى ..

كانت جالسة ـ ليدى (فريوورد) ـ فى البانيو بكامل ثيابها ، والبانيو ممتلئ بالمياه لنصفه ، بينما فى جبهتها ثقب أحمر ينز دمًا استطاع أن ينثر الدماء على الحائط خلفها ..

كانت تبدو أكثر جمالاً ورقة فى هذه الحالة .. كأن الموت إذ أفقدها شراستها وتسلطها جعلها أجمل .. (الموت يليق بها) .. عنوان فيلم أمريكى شهير بدا أنه يصف الموقف بدقة ..

صرخت (سارة) وقد تحولت إلى ذئب شرس ، فجرّها (مايكل) إلى الخارج مندهشًا من فقدانها لوقارها البريطانى العتيد .. الفتاة التى تملأ الدنيا صراخًا لأن خالتها ماتت برصاصة فى رأسها ، هى



كانت جالسة ـ ليدى (فريوورد) ـ فى البانيو بكامل ثيابها ،
والبانيو ممتلئ بالمياه لنصفه ، بينما فى جبهتها ثقب أحمر ينز دمًا
استطاع أن ينثر الدماء على الحائط خلفها . .

فتاةَ ليست من أصل راق تمامًا .. فتاة غير جديرة بالدماء الأنجلو ساكسونية ..

وقال (هنرى) فى وقار :

ـ « يا إلهى العلىّ القدير ! أعتقد أن سيدتى الليدى (فريوورد) لن تحضر العشاء هذه الليلة .. وأعتقد كذلك ـ لو سمحتم لى يا سادة ـ أن وقت استدعاء الشرطة قد حان .. »

وخرج الجميع من الغرفة ، حين جاء اللورد العجوز من غرفته يتوكأ على عصاه ليرى ما هنالك ، بسرعة تناسب حالته الصحية ..

تساءل وهو يقلب عينيه الزرقاوين فى الوجوه :

ـ « ماذا حدث يا (هنرى) ؟ »

ـ « لو سمح لى سيدى (اللورد) ؛ فأنا أخشى أن سيدتى قد توفيت برصاصة فى الرأس .. »

ـ « هذا مؤسف يا (هنرى) .. سأسمح لنفسى ببعض (البورتو) على سبيل الحداد .. أرجو أن تقوم بترتيبات الجنازة .. »

- « هذا يسرنى يا سيدى .. »

وبدأ الموجودون يتفرقون ، واتجه (هنرى) إلى جهاز الهاتف العتيق على الحائط فطلب الشرطة ، بينما جلس اللورد على مقعد وضعوه له جوار الباب ، وراح يرشف (البورتو) فى وقار حزين .. »

- « إنه حادث مؤسف يا (هنرى) .. »

- « هو كذلك حقًا يا سيدى اللورد .. »

- « أرجو أن تلغى اشتراكها فى جريدة (صنداى تلجراف) يا (هنرى) .. »

- « سأرى أن هذا قد تمّ يا سيدى اللورد .. »

كان اللورد نموذجًا للنبيل الإنجليزى من بناة الإمبراطورية .. له شارب كث عسكرى أشيب ، والشعر خفيف على جانبى رأسه على طريقة (كابوريا) ، لكنه كان الآن يرتدى الـ (روب دى شامبر) طبعًا ، وخفين من الصوف ..

ووقفت (عبير) على بعد أمتار منه ، لا تدرى لأين

تذهب .. لكنها واثقة من شىء واحد : لو رآها لزجرها .. فهو لا يطيق ظلها على الأرض على طريقة (من بُغض طلعته يمشى على كبدى) ..

وأنقذها من حيرتها سماع جرس الباب ..

لقد بدأ الغيث ..

* * *

كانوا أربعة من رجال (سكوتلانديارد) بقبعاتهم وبملابسهم ومعاطفهم الخاكية ، ومعهم رجل شرطة أسود البذلة والأفكار ..

أكبر الرجال هو المفتش (بلاكفيلد) والذى تولى عملية التحقيق وفحص الجثة .. كان أول سؤال سأله هو لرجل قصير القامة يضع عوينات بلا إطار ، ويحمل حقيبة صغيرة :

ـ « ما رأيك يا دكتور (درايفوس) ؟ »

قال الدكتور (درايفوس) وهو يجفف عرقه :

ـ « الوفاة طبيعية .. لا بد أنها نوبة قلبية .. »

أعاد المفتش تأمل الطبيب في حيرة ، ثم بتهذيب غمغم :

ـ « حاشا لله أن أتدخل فى دورك الفنى ، ولكن ماذا عن ثقب الرصاصة فى جبهة القتيلة ، وكل هذه الدماء ؟»

ضرب الطبيب جبهته كمن فاته تفصيل بسيط ، وصاح :

ـ « أوه ! إننى لم أول هذا اهتمامًا .. ظننته موجودًا من البداية .. إن للنساء هوايات غريبة .. »

ـ « إذن أكون شاكرًا لو أعدت فحص الجثة واضعًا فى الاعتبار شكوكى .. »

ـ « لك هذا يا سيدى المفتش .. »

ودخل الغرفة من جديد .. الغرفة التى لا بد أنها صارت الآن مزدحمة كميدان (العتبة) عندنا ، وبعد دقائق عاد ليؤكد :

ـ « إن شكوكك فى محلها يا سيدى .. ثمة جريمة هنالك .. الرصاصة أطلقت من مسدس ذى ساقية

تسع ثمان طلقات .. تم الإطلاق على بعد ثلاثة أمتار .. حرارة الجثة تؤكد أن الجريمة تمت فى العاشرة وعشر دقائق بالضبط .. القاتل له ساق أقصر من الأخرى ومصاب بـ (لانقطية) (أستجماتزم) شديد فى عينيه ، وفى الغالب هو متقدم فى السن .. »

نظرت له (عبير) بإعجاب .. هذا الرجل يؤدى عمله جيدًا .. وبسهولة انتقل من عدم الاكتراث والإهمال إلى الدقة المَرَضيَة .

ابتسم المفتش فى رضا ، ثم أمر بتصوير كل شىء ورفع البصمات قبل نقل الجثة إلى المشرحة ..

وكعادة مفتشى القصص بدأ فى استدعاء الشهود واحدًا تلو آخر ، وسؤاله عن عمله وعلاقته بالقتيلة ، وأين كان بالضبط فى العاشرة وعشر دقائق ..

كانت (عبير) قد قرأت الكثير جدًّا من قصص (أجاثا كريستى) ، وكانت تعرف بالضبط هذا الطراز من الأحداث .. سيكون هناك الكثير جدًّا من الكلام .. وفى النهاية ـ بعد جهد مضن ـ يتضح أن قاتل الليدى

هو آخر المشتبه فيهم .. آخر من يتجه إليه إصبع الاتهام .. لقد بالغ الكتاب الإنجليز فى هذه النقطة ، حتى إن أحدهم كتب قصة بوليسية ـ على سبيل الدعابة ـ يتضح فى آخرها أن القاتل ليس فى الكتاب أصلاً !

توشك قصص (من فعلها ؟) على أن تكون قصصًا إنجليزية تمامًا .. لا تعيش أبدًا خارج جوّ القصور واللوردات ورجال (سكوتلانديارد) الذين يملكون المثابرة والإمكانات .. لكنهم يفتقرون إلى الخيال ..

ولقد توقع أحد النقاد الإنجليز أنه لو سارت الأمور على ما هى عليه ؛ فلسوف تتحول الجزر البريطانية إلى مجموعة من الحمقى يقرأ كل منهم ما كتبه الآخر من قصص بوليسية .. فقط ستتباين القصص فى شخصية القاتل : إنه الساقى فى هذه القصة ، وهو الخادمة الفرنسية فى تلك ، وهو الوريث فى هذه ، وهو رجل الشرطة فى قصة أخرى ..

بعد قليل دق جرس الباب ..

كـــان القـــادم هـــذه المـــرّة مفتشًـــا مـــن رجـــال (سكوتلانديارد) يُدعى المفتش (جـاب) ، ولـم يـأت وحده فقد كان معه رجلان ..

قال (جاب) لاهثًا :

ـ « لقـد كـان المسيو (بـوارو) يمـرّ قـرب الـدار فدعوته ليحضر معنا هذا التحقيق .. »

وتـأملت (عبير) ذلـك الرجـل القصـير الأصلـع ، ذا الشارب الضخم اللامع المُعتنى به .. إنها تعرفه جيدًا ..

لقد قابلته من قبل ..

وها هى ذى تقابله للمـرة الثانيـة لتتـذوق عبقريتـه من جديد ..

(هيركيول بوارو) ..

* * *

الجـزء الأول

فلننعش خلايانا الرمادية !

يقوم بالتحقيق

(هيركيول بوارو)

٥ ـ (بوارو) يبدأ ..

قال (بوارو) بعد ما تمّ التعارف :

ـ « كما قال (شكسبير) يا سادة : إن دراسة مسرح الجريمة توضح كل شىء وأنا سأدرس مسرح الجريمة .. »

تبادل رجال (سكوتلانديارد) نظرات الدهشة ، التى تحولت فى الحال إلى ضحكات مكتومة .. فلا أحد قرأ لـ (شكسبير) كلمات كهذه ، وفى الغالب لم يقلها قط لأنه لم تكن هناك مسارح جريمة فى زمنه ، لكن (بوارو) كان دائم الاقتباس لعبارات لا وجود لها فى الأدب الإنجليزى ..

كانت إنجليزية (بوارو) مضحكة جدًّا ، جديرة بأصله البلجيكى ، لكن الغريب هو أنه مصرّ على أنه من أعلام اللغة وفصحائها ..

قال المفتش (بلاكفيلد) بعدما سيطر على نوبة الضحك :

ـ « الغريب يا سيدى هو أن الغرفة موصدة بإحكام من الداخل ، وكذا نوافذها ونوافذ الحمام .. »

ـ « إنها دائمًا كذلك فى القصص .. »

ودخل إلى الحمام المليء بالدماء والذى لم تعد به جثة .. بالطبع لم تر (عبير) باقى ما حدث لأنها كانت واقفة مع المحتشدين على باب الحجرة ، ولم يكن من حقها الدخول ما لم ينادها أحد ..

بعد دقائق خرج (بوارو) وهو يجفف وجهه بمنديل ، فسأله رجل (سكوتلانديارد) وهو يشعل غليونه :

ـ « هل ثمة شيء أثار انتباهك ؟ »

قال (بوارو) وهو يبرم شاربيه :

ـ « لا يا سيدى .. كنت ألبى نداء الطبيعة .. هذا حقى على ما أظن .. حتى لو كان الحمام مسرح جريمة .. »

تنفس الجميع الصعداء ، بينما تساءل (هاستنجز) تابع (بوارو) المخلص الشبيه بكلب أمين :

ـ « لماذا لا يكون هذا انتحارًا ؟ »

ـ « لأن المنتحرين لا يطلقون الرصاص على جباههم ثم يفتحون النافذة ويتخلصون من سلاح الجريمة ، ثم يغلقونها ويموتون يا (هاستنجز) .. هذا عسير كما ترى .. »

قال المفتش (بلاكفيلد) وهو يشعل غليونه :

ـ « أضف لهذا أنه لا أحد ينتحر بإطلاق الرصاص على منتصف جبهته .. إن صدغيه يكونان أسهل عندئذ .. »

قال (هاستنجز) وهو يشعل غليونه :

ـ « وكيف يغلق القاتل الأبواب والنوافذ من الداخل ؟»

قال (بوارو) فى فخر :

ـ « لهذا طلبوا رأى (بوارو) أعظم مخبر بوليسى فى القارة وربما فى العالم .. ولكن القاتل لم يكن بارعًا كما تعتقدون .. »

فى غباء تساءل المفتش (جاب) وهو يشعل غليونه :

ـ « كـ .. كيف ؟ »

قال (بوارو) وهو يخرج من جيبه شيئًا معدنيًّا صغيرًا أقرب إلى مزلاج نافذة :

ـ « هذا هو المزلاج المثبت على النافذة .. لقد فككت مسماريه بهذا بينما كنت فى الحمام .. »

ومن جيبه الآخر أخرج مفكًّا صغيرًا ، وأردف :

ـ « لقد لاحظت أنه جديد لامع أكثر من اللازم .. وبفحصه أدركت أنه صُنع خصيصًا ليشبه المزاليج العادية رخيصة الثمن .. الحقيقة يا سادة هى أنه مزلاج من نوع (لاتش) ، وبه (زنبرك) صغير .. هكذا يمكن إغلاق النافذة من الخارج ، فيعود اللسان إلى موضعه ويبدو الأمر كأنما النافذة مغلقة من الداخل ! »

فى ذهول هتف (بلاكفيلد) وهو يشعل غليونه :

ـ « حفظ اللّه الملكة ! يا له من قاتل شيطانى بارع ! ومعنى هذا أنه خرج من نافذة الحمام بعد إطلاق الرصاص ! »

ـ « بالتأكيد يا عزيزى .. ولو لم ألحظ البريق فى المزلاج لقضينا ساعات طويلة نلقى الاتهام على شبح..»

هرع المفتش إلى داخل الحمـام ، وبعد دقائق عاد وقال وهو يشعل غليونه :

ـ « النـافذة على ارتفـاع طابقين .. حوالى ثمانية أمتار .. توجد شجرة ملاصقة لها يمكن استعمالها للهبوط إلى أسفل .. »

قال (بوارو) فى ثقة :

ـ « هكذا يتضح الأمـر أكثـر .. لقد أطلق القـاتل رصاصته ، ثم وثب من النافذة ، ودار حول القصر ليدخـل من الباب الرئيسى مذعورًا يتساءل عن مصدر الصوت مع الآخرين ، وهذا يلقى بالشك على جميع الموجودين دون استثناء .. »

وأخذ شهيقًا عميقًا ، وقال وهو يدخل الحجرة :

ـ « الآن نريد لقاء المشبوهين جميعًا .. »

نظر المفتش (بلاكفيلد) حوله ، ثم وقعت عينـاه

على (عبير) التى كانت واقفة ترقب كل هذا فى استمتاع .. قال لها وهو يشعل غليونه :

- « فلنبدأ بك يا آنسة .. »

وتدخل (عبير) غرفة النوم حيث جلس (بوارو) على (أنتريه) أنيق فى ركن المكان جوار مرآة الزينة ، وراح يمشط شاربه فى دقة وعناية ..

قال لها فى مرح وهو يشير لمقعد :

- « اجلسى أيتها الحسناء .. دعينى أر وجهك الجميل عن قرب .. »

وغمز لها بعينه اليمنى ، وأردف :

- « صدقينى لست عجوزًا كما أبدو .. إننى أحمل قلبًا بلجيكيًّا لا يشيخ أبدًا مهما شاخت ملامحى .. »

جلست (عبير) فى رهبة أمامه ، وعلى الفور تذكرت الصورة الخالدة التى رسمتها له (أجاثا كريستى) ، والتى جعلت القراء يهيمون به حبًّا ..

* * *

كان (بوارو) لاجئًا بلجيكيًا فرَ من بلاده وقت الحرب العالمية الأولى ليعمل فى (انجلترا) وكان مفتشًا بارعًا فى بلاده ، وقد نقل هذه البراعة معه ليصير أشهر رجل شرطة فى القارة والجزيرة ..

من القصص يمكننا معرفة أبعاد شخصية (بوارو) كأية شخصية ناجحة ثلاثية الأبعاد بل ورباعيتها كذلك ..

من ناحية الشكل عرفنا أن (بوارو) أصلع قصير القامة له شارب عملاق مما يقف عليه صقران لو أرادا .. مفرط فى الأناقة هو يعتبر ذرّة غبار على بدلته كارثة قومية ..

من ناحية الطباع يمكن اعتبار (بوارو) أكثر المخبرين غرورًا وتعاليًا ومدحًا لذاته ، لكنه يفعلها بطريقة تدعو للابتسام ..

فلا تستطيع أن تكرهه لذلك ..

شديد التمسك بالنظام والنظافة ، شديد الإعجاب بالأشكال الهندسية حتى إنه كان يتمنى لو خُلق البيض على شكل مكعب ..

مع (بوارو) لا بد أن تجد ظلّه الكابتن (هاستنجز) ، وهو شاب شديد الإخلاص شديد الانبهار بـ (بوارو) .. لقد ودّ (هاستنجز) يومًا ما لو كان مخبرًا ، ثم قابل (بوارو) فعرف ـ ببساطة ـ أن عليه أن يصمت ويتعلم ، ويلعب دور الراوى ..

إن (بوارو) يعامل (هاستنجز) كصديق ، لكن معاملته لا تخلو من التعالى ، وهو يستغله فى مهمة محددة : كيف يريد القاتل أن يعتقد الرجل العادى ؟ لقد دمّر القاتل بذكائه كل شىء كى يخدع الحمقى ، و (هاستنجز) أحمق ، لذا يمكن عن طريقه فهم ما ينبغى عدم التفكير فيه ! ولو توصل ذكاء (هاستنجز) إلى أن القاتل هو (زيد) ؛ كان هذا دليلاً قويًا على أن (زيد) برىء !

ولقد حكى (هاستنجز) كل قصص (بوارو) ما عدا قصة مصرع (روجر أكرويد) التى حكاها طبيب الأسرة ، والسبب طبعًا هو أن الطبيب نفسه كان هو قاتل (روجر أكرويد) فى تلك القصة !

نعود لقصتنا ..

سألها (بوارو) عن علاقتها بالأسرة ، وعما إذا كانت قد رأت ما يريب ، ثم سألها :

ـ « هل لى أن أفترض أن ليدى (فريوورد) كانت تتمنى لك الموت ؟ »

دون حذر قالت :

ـ « بالتأكيد .. هى لا تطيق ظلَّى على الأرض .. »

وندمت على ما قالت ، لذا أضافت بسرعة :

ـ « لكنى لم أبادلها هذا الشعور ، وبالمناسبة كنت فى العاشرة وعشر دقائق مع (جون فريوورد) أحكى له قصة أطفال .. »

هزّ رأسه الأصلع باسمًا ، وقال :

ـ « يبدو أنك تعانين حالة مزمنة من الإجابة على أسئلة لمْ تُطرح أصلاً .. »

ومدّ يده إلى كتاب ذى غلاف ضئيل على المنضدة ، وقال :

- « ما رأيك فى هذا الكتاب ؟ إنه مخصص لأغانى المهد للأطفال Nursery Rhymes ، ويبدو لى أن الليدى كانت مهتمة به .. »

تأملت (عبير) الكتاب .. إنه هو ذاته الذى يجعلها (جون) تغنى منه قبل أن ينام .. قالت دون حذر :

- « هذا هو الكتاب ذاته .. »

ابتسم (بوارو) وبرم شاربه :

- « لا أظن هذا .. من مصلحتك ألا يكون كذلك لأنه كان جوار الجثة فى الحمام .. ولو كان الكتاب ذاته لكانت قصتك كاذبة بصدد التواجد جوار (جون) .. »

وقلّب صفحاته فى استمتاع مرددًا كأنما يحلم :

- « أغانى مهد .. ما أجملها ! كانت لدينا أغان جميلة كهذه فى (بلجيكا) لكنى نسيتها .. بالمناسبة لقد وجدنا الكتاب مفتوحًا على أغنيةٍ منها ، وقد سقطت قطرات دم على الصفحة .. هذا دليل كاف على أن الكتاب كان مفتوحًا لحظة ارتكاب الجريمة .. »

ورفع الكتاب فى الهواء أمام وجهه ، وبصوت عال قرأ :

ـ « كان هناك رجل صغير ..

لديه بندقية صغيرة ..

وطلقاته مصنوعة من الرصاص .. رصاص .. رصاص ..

رأى بطة صغيرة ..

فى بركة صغيرة ..

فأطلق الرصاص على الرأس .. رأس .. رأس.. »(*)

وابتسم فى استمتاع ، وأغلق الكتاب ، وقال :

ـ « جميل .. ألاترين هذا ؟ فقط لاحظت وجود تشابه مريب بين طريقة القتل فى الأغنية وعالم الواقع .. »

هنا تدخل المفتش (بلاكفيلد) ليقول وهو يشعل غليونه :

ـ « قال اللورد إنه كان يدلل امرأته باسم (البطة الصغيرة) ! »

قال (بوارو) وهو ينظر لـ (عبير) بحنان غريب :

(★) كل أغانى الأطفال المذكورة هنا حقيقية .

ـ « هل فهمت يا صغيرتى المأزق الذى أنت فيه ؟ »

وثبت من مكانها مذعورة ، وصاحت :

ـ « أى مأزق ؟ »

قال (بوارو) بعد ما تبادل نظرة جانبية مع (هاستنجز) :

ـ « إن (هاستنجز) يملك كل الأسباب كى يرتاب فيك الآن .. لديك الدافع ، وقد استوحيت فكرة الجريمة من أغانى الأطفال .. هذا الكتاب لا يشير لأحد فى الدار سواك ! »

كانت تعرف أن (أجاثا كرستى) تهوى استعمال أغانى الأطفال فى قصص الجريمة على غرار (عشرة صبية هنود) و (ثلاثة فئران عمياء) و (خمسة خنازير صغيرة) .. لكن هذا كثير ..

قبل أن تشتم (بوارو) على حماقته ، قال بهدوء :

ـ « هذا ما يريد القاتل أن يعتقده الرجل العادى محدود الذكاء ، لكن بالنسبة لـ (بوارو) يغدو الأمر أكثر تعقيدًا .. دعونا ننعش خلايانا الرمادية لنفكر .. »

ونهض ليجوب الغرفة ، ويداه معقودتان وراء ظهره :

- « الليدى فى الحمام بكامل ثيابها .. لماذا يجلس إنسان فى البانيو بكامل ثيابه ؟ لو كانت قد دخلت الحمام وتهيأت للاستحمام لكان الوضع مختلفاً .. الاحتمال التالى هو أنها قتلت فى مكان آخر ونقلها القاتل ميتة إلى البانيو .. ولكن لماذا تلوث الدماء كل شىء إذن ؟ الاستنتاج الوحيد : لقد أرغمها القاتل على الجلوس فى البانيو قبل أن يطلق الرصاصة على الجبهة .. فلماذا ؟ »

قال (هاستنجز) فى حياء :

- « لا بد أنه لم يرد أن تلوث دماؤها الغرفة .. »

- « هذا قاتل فريد من نوعه .. قاتل حريص على النظافة .. »

قال (بلاكفيلد) وهو يشعل غليونه :

- « يقول الطبيب إن القاتل عجوز أعرج مصاب باللانقطية .. لا أدرى كيف يعرفون كل هذا ، لكن هؤلاء الأطباء بارعون حقاً .. »

قال (بوارو) فى لهجة مسرحية :

- « وهذا يلقى الأضواء على اللورد .. إنه يملك الدافع ويهمه ألا تتلوث غرفة من قصره بالدماء .. كل هذا جميل .. لكن كيف يستطيع اللورد أن يثب من نافذة الحمام بعد ارتكاب جريمته ؟ هذا لو افترضنا أنه أعرج مصاب باللانقطية .. »

- « قال (هاستنجز) :

- « ليس أعرج .. لقد رأيته فى الردهة ، ولم يكن يعرج أكثر منى .. »

قال (بوارو) :

- « تلك نقطة مهمة .. لو لم يكن طبيبكم أحمق - ولسوف أتبين هذا - فإن اللورد خارج نطاق الاتهام تمامًا ، وهذا يضيق الدائرة أكثر .. إن اللورد لم يفعلها ، والقتيلة لم تفعلها ، و (ملدريد) الحسناء لم تفعلها .. »

احتج (هاستنجز) وهو يشير إلى (عبير) :

ـ « من قال إن هذه لم تفعلها ؟ »

ـ « لأنك تشتبه فى (ملدريد) يا عزيزى (هاستنجز) صار هذا دليلاً قاطعًا على براءتها ! »

هنا ضيق المفتش (بلاكفيلد) عينيه ، وتساءل وهو يشعل غليونه :

ـ « إذن بحق السماء .. من فعلها ؟ »

* * *

الجـزء الثـانى

بديهى يا عزيزى (واطسون) !

يقوم بالتحقيق

شيرلوك هولمز

٦ - ضحية جديدة ..

طالت التحقيقات حتى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى .. هذه هى مشكلة بدء الجرائم فى العاشرة مساءً ..

لكن (عبير) لم تحضر استجواب اللورد و (سارة) و (مايكل) والخدم ؛ لأنهم صرفوها شاكرين بعدما عرفوا ما تعرف ..

كان موقفها سيئًا بحق ، وعلاقتها المتوترة مع ليدى (فريوورد) يعرفها الجميع ، لكنها ظلت تأمل فى أن عدم وجود بصمات سيبرئها ..

- « لا بصمات .. » - قالها (بوارو) فى لطف - « إن كل قاتلى هذه القصص يعرفون اختراعًا اسمه القفازات .. لكن غرفة السيدة بالتأكيد ملأى ببصمات (سارة) واللورد .. هذا لن يضيف شيئًا .. »

هكذا لم يعد هناك ما يدينها ، لكن لم يعد كذلك ما يبرئها ..

مهمومة اتجهت إلى غرفتها ، وتناولت قرصًا منومًا .. ثم أطفأت النور وبدأت تحلم ..

★ ★ ★

فى السادسة صباحًا كانت هناك حركة غير عادية فى القصر ..

فتحت جفنيها شاعرة أنهما يزنان طنين ، وشعرت بفزع من الستار السميك المسدل على الكون حولها ، ثم بدأت تفيق ببطء .. إن القرص المنوم يمارس ذروة سلطانه الآن ..

مترنحة نهضت إلى الباب وفتحته ..

رأت أناسًا يجرون .. جعلها النعاس تشعر بأنهم بلاوزن ، وأن أقدامهم لا تحدث صوتًا على الأرض .. وسمعت من يقول :

ـ « (سارة) .. (سارة) ! »

خرجت من غرفتها ، ومشت مع الماشين ، وأدركت أنهم متجهون إلى الطابق العلوى حيث غرفة (سارة ماكلارين) ..

كان الباب مفتوحًا وقد وقف الخدم يتكلمون بصوت عال ؛ وعلى الفراش رأت ما يشبه الجسد المسجى ، على حين كانت مس (إميلى) الوصيفة ـ وهى امرأة ضخمة صارمة ـ تقول فى هستيريا :

ـ « لقد كانت بخير حال ، وطلبت أن أوقظها فى السادسة صباحًا لأنها ستسافر إلى (ديفون) .. طرقت الباب مرارًا لكنها لم تردّ وفى النهاية تجاسرت وفتحته .. وكان ما ترون ...... »

قال (هنرى) رئيس الخدم :

ـ « ميتتان فى ليلة واحدة ! هذا لا يليق بقصر محترم .. »

وأشار إلى خادمة فرنسية حسناء :

ـ « هلا طلبت الشرطة يا (مادلين) ؟ هل أيقظ أحدكم سيدى اللورد ؟ »

قال السائق فى فخر :

ـ « أنا فعلت .. »

ـ « يا لك من متسرع أخرق ! بحق السماء لقد أمر سيدى اللورد بألا يزعجه أحد حتى العاشرة صباحًا ! »



كان الباب مفتوحًا وقد وقف الخدم يتكلمون بصوت عال ،
وعلى الفراش رأت ما يشبه الجسد المسجى . .

ـ « حتى لو حدثت جريمة قتل فى قصره ؟ »

ـ « حتى لو سقط السقف ذاته .. أشياء كهذه هى التى تحدد كبرياء الجنس الأنجلو ساكسونى وتميزنا عن الهمج .. »

ثم بحزم أمر الخدم الآخرين :

ـ « أعدوا لسيدى قدحًا من القهوة السوداء ، وجريدة (التايمز) لسوف يسأل عنهما أول شىء .. »

هنا جاء صوت اللورد العجوز المرهق :

ـ « ماذا حدث يا (هنرى) ؟ »

يبدو أن الآنسة (ماكلارين) قد توفيت يا سيدى اللورد .. »

ـ « هذا مؤسف يا (هنرى) .. هل تأكدتم من الوفاة ؟ »

ـ « الطبيب فى الطريق يا سيدى ، لكننا متأكدون كل التأكد .. »

ـ « هذا مؤسف بحق .. أحضر لى قدحًا من القهوة وجريدة (التايمز) .. »

ـ « هما جاهزان يا سيدى .. »

★ ★ ★

بعد ربع ساعة جاء رجال (سكوتلانديارد) ..

كانوا محمرى العيون متذمرين ومعهم حق .. لقد تركوا القصرمنذ ساعتين ليناموا قليلاً ، وقبل أن يدخلوا مرحلة النوم الأرثوذكسى (الهادئ المنتظم) وجدوا أن جريمة أخرى حدثت .. »(*)

قال المفتش (بلاكفيلد) وهو يشعل غليونه :

ـ « لو مرّت ثلاث ساعات دون جريمةً فى هذا القصر لبدا لى الأمر شاذًا .. »

وبعد عشر دقائق جاء (بوارو) مع (هاستنجز) ، وكان منتعشًا كما لو نام سبع ساعات متواصلة ، لكنه كان مندهشًا من سرعة الأحداث ، وقال بعد ما تثاءب :

ـ « لقد تحرّك القاتل بسرعة ، لكنه على الأقل ضيّق مجال البحث .. »

(*) يبدأ النوم بمرحلة النوم البارادوكسى (المتناقض) ، ثم يدخل مرحلة (الأرثوذكسى) الهادئة .

قال (هاستنجز) فى حياء :

ـ « من قال إن الفتاة قتلت ؟ »

هنا بدا الحماس على (بوارو) ، وصاح :

ـ « هذا حق .. من قال إنها قتلت ؟ لقد افترضنا جميعًا أنه ما دُمنا فى قصة بوليسية فلابد أن تكون مقتولة .. »

ثم تنهّد ، وأشار للغرفة :

ـ « هلموا معى نر الجثة .. »

كان (مايكل) واقفًا دامع العينين معدوم الحيلة كطفل ، فدنت منه (عبير) ولمست ذراعه مشجعة :

ـ « أنا آسفة .. يبدو أنك كنت تحبها حقًا ! »

انتفض لسماع صوتها ، وهتف :

ـ « أنا أحبها ؟ بالطبع لا ! »

ثم انتبه إلى المحيطين حوله ، فهمس بحدّة :

ـ « بالطبع لم أحبها .. لكنى لست بحاجة إلى أن أهيم بشخص كى أبكى لوفاته .. لقد كانت شابة حسناء .. هذا كل شىء .. »

ثم بلهجة متآمرة هامسة ، قال :

- « بالمناسبة .. إن هذا الحديث الهامس سيجلب علينا شكوكًا لاداعى لها .. »

قالت وهى تبتعد :

- « إن موقفنا فى غاية السوء بالفعل ، ولولا ثقتى من أنك وأننى لم نقتل المرأتين لشككت فى الأمر .. »

- « بحق السماء .. من قال إن (سارة) قتلت ؟ »

- « لأن هذه قصة بوليسية ، فلا بد أنها قتلت .. »

بعد دقائق خرج (بوارو) مع الطبيب من الغرفة ، وكان (بوارو) يحمل كتابًا صقيلاً مألوف الشكل فى يده ، وقال :

- « الطبيب قال إنها وفاة طبيعية .. نوبة قلبية .. »

تنفس الجميع الصعداء ، لكن (بوارو) لوّح بالكتاب وهتف :

- « أما أنا فرأيت هذا الكتاب الجميل ، وكان مفتوحًا جوار الجثة على الكومود ، وحين قرأت الأغنية التى فتح عليها ؛ بحثت بدقة حتى وجدت موضع اللدغة .. هنا .. فى العنق ! »

وأشار إلى عنقه المكتنز ليوضح كلامه ..

ارتجف الجميع وساد مناخ من التوتر ، على حين راح يتلو أغنية الأطفال المقصودة :

ـ « الآنسة (موفت) الصغيرة جلست على أرومة ..

تأكل اللبن الرائب ..

عندئذ جاء عنكبوت ..

فهربت الآنسة (موفت) بعيدًا ..

وأغلق الكتاب بطريقة مسرحية ، وقال :

ـ « يوجد عدد كبير من نسخ هذا الكتاب هنا ، ومن الواضح أن القاتل ينوى التقيد به حرفيًّا .. »

ولوّح الطبيب بمرطبان زجاجى ، استطاعوا أن يميزوا بداخله جسمًا أسود بشعًا مغطى بالشعر ، وقال :

ـ « هذا هو الفاعل .. عنكبوت استوائى من طراز (تارانتولا) .. لقد نامت وهو معها فى الفراش ، وأظن أنها لم تتألم .. كثيرًا ! »

اقشعرت (عبير) لبشاعة الفكرة ..

هى كانت معتادة العناكب ولا تخافها .. ربما تحبها

نوعًا .. لكن هذا العنكبوت بالذات كان أقرب إلى شيطان أسود صغير حبيس فى قمقم .. ولم تكن قبلاته محببة أبدًا ..

قال (بوارو) وهو يرمق (عبير) :

- « أرجو أن تكون حجة غيابك Alibi قوية هذه المرة يا آنسة حتى تقتنع هؤلاء الحمقى .. »

تراجعت (عبير) للوراء فى عصبية ، وصاحت :

- « حجة غياب ؟ كنت نائمة كالقتيل بفعل دواء منوم ، ولم يرنى أحد أفعل ذلك .. »

قال المفتش (بلاكفيلد) وهو يشعل غليونه :

- « باسم صاحبة الجلالة ، أجد نفسى مضطرًا إلى اصطحابك إلى الإدارة يا آنسة .. لم أوجه لك اتهامًا رسميًا بعد ، لكنى أحاول حماية باقى الورثة هنا .. »

وأشار إلى رجل الشرطة الواقف جواره :

- « كونستابل (ماكجزو هيل) .. أرجو أن تؤدى عملك ! »

★ ★ ★

٧ ـ (هولمز) يواصل ..

ثلاثةَ .. ستةَ .. تسعةَ ..

شربت القطةَ جعةَ ..

والقرد دخَّن الطباق فى عربةَ الترام ..

تحطم القضيب ..

وشرق القرد بما دخَّن ..

وصعدوا جميعًا إلى السماء بقارب ذى مجدافين ..

★ ★ ★

كان توتر الموقف يتزايد ؛ حين دق جرس الباب ..

وسمعت (عبير) صوت صهيل حصانين ، وصوت عربةَ مما تجرها الخيول .. لكنها استبعدت هذا فى عصر السيارات ..

لكن (هنرى) جاء فى أدب ، ووجه كلامه إلى المفتش (بلاكفيلد) ..

- « معذرة يا سيدى المفتش ، لكن من يدعى مستر (شيرلوك هولمز) يطلب الإذن بالدخول .. »

(هولمز) ؟ فى هذا العصر ؟ لا بأس .. لقد جربت خلط الأزمنة هذا فى (فانتازيا) من قبل ، وبالذات فى أول مرّة تدخل (فانتازيا) فيها ، لكن القتيل وقتها كان اللورد .. ماذا كان اسمه ؟ آه ! (ثاكرى) ..

ترى هل يضيف (هولمز) شيئًا إلى موقف غامض بطبيعته ؟

* * *

وفى إعجاب رأت الرجل الذى خلّد اسم (إنجلترا) وخلّد شارع (بيكر) ، ومازالت أساليبه تُدرّس فى كليات الشرطة بالعالم كله :

(شيرلوك هولمز)(*)..

إن (هولمز) كهل وقور وسيم الملامح ، لكن له أنفًا كمنقار صقر ، وهو فارع القامة ككابوس ،

(*) منعًا للتكرار ؛ راجع الكتيب الأول صفحة ٨٨

ويرتدى معطفًا طويلاً من قماش (الكاروهات) الاسكتلندى ، بينما حرملةً أنيقةً على كتفيه ، وهو ـ عادةً ـ سيد مهذب راق أقرب إلى أستاذ جامعة منه إلى مخبر خاصٍ ..

يتبعه د. (واطسون) وهو طبيب يعيش معه فى داره ، ويلعب معه ذات دور (هاستنجز) مع (بوارو) .. الصديق المخلص محدود الذكاء المنبهر دائمًا ، وراوى القصص غالبًا ..

لوّح (هولمز) بعصاه محييًا الموجودين ، وقال لاهثًا :

ـ « لقد أعطيت سائق العربة جنيهًا كاملاً كى يجلبنا إلى هنا بأسرع ما يستطيع وسط ضباب (لندن) .. إن الوقت مبكر جدًا .. »

فى ضيق ، وقد احمرّ وجهه كسرطان البحر المسلوق ، قال (بوارو) :

ـ « ما كان لك أن تتجشم هذا العناء يا صاحبى .. »

- « أنا لم آت إلا لأن المفتش (بلاكفيلد) طلب رأيى ؛ لأن رأيين خير من رأى واحد .. »

ثم أشار بعصاه إلى (عبير) ، وتساءل :

- « لماذا قبضتم على هذه الحسناء ؟ »

- « لم نقبض.. لكننا لا نجد ما يؤذى فى مراقبتها ..»

- « إذن دعونى أعرف لماذا تراقبونها ؟ »

* * *

فى الساعة التالية عرف (هولمز) كل شىء عن القضية كما حكاها (بلاكفيلد) ، وقد راق له بالذات الجزء الخاص بالقتل بالـ (تارانتولا) ؛ لأن هذا النوع من القتل أقرب إلى أساليب قصصه .. إن قتلى (أجاثا كرستى) يموتون غالبًا بالسمّ أو الرصاص .. لكن لدغات الحيوان والحشرات أقرب إلى عالم (هولمز) ، وكان قد فرغ من التحقيق فى قصة (العصابة الرقطاء) حيث يتمّ القتل عن طريق ثعبان سامّ يتسلل من فتحات التهوية ، لهذا أشعر بأن الدار داره ..

تفحص د. (واطسون) المرطبان الذى حفظوا فيه العنكبوت القاتل ، ثم صاح فى دهشة :

ـ « ليرحم اللّه روحى! هذا العنكبوت ليس (تارانتولا) يا (هولمز) ، بل هو (لاترودیكتاس) .. وهو من أشد العناكب السامة فتكًا ، لكنك لا تجده إلا فى (إفريقيا) و (الشرق الأوسط) ..

ابتسم (هولمز) فى ثقة وأشعل غليونه ، وقال :

ـ « كما ترون .. ما كان لهذه الآنسة الرقيقة أن تجد عنكبوتًا كهذا حتى لو قصدت أكبر متاجر (لندن) .. تخيلوا أنها تسأل البائع عن عنكبوت سامّ من نوع (لاترودیكتاس) ! »

ثم تأمل (عبير) فى إعجاب ، وقال :

ـ « يبدو لى يا آنسة أن لك أقارب فى (ويلز) ، وأن خالك قد حارب فى (الهند) فترة لا بأس بها ، وأنك تعاطيت قرصًا منومًا كى تتمكنى من النوم بعد الجريمة الأولى ، ويبدو أنك درست اللغة اللاتينية لفترة ثلاث سنوات .. »

كانت هذه هى طريقته المعتادة فى إبهار سامعيه ،



ابتسم (هولمز) فى ثقة وأشعل غليونه ، وقال : « كما ترون !! »
ما كان لهذه الآنسة الرقيقة أن تجد عنكبوتًا كهذا حتى لو قصدت
أكبر متاجر (لندن)

والتى تعلمها (دويل) المؤلف من أستاذه فى كلية الطب ، الذى كان يستعمل عينيه بطريقة تفوق التصور(*)..

تساءل المفتش (جاب) فى انبهار :

ـ « وكيف عرفت كل هذا ؟ »

ـ « هذا بديهى يا عزيزى المفتش .. بديهى .. من الواضح أن ..... »

هنا قال (بوارو) بعصبية إنه لا وقت يضيع فى ألعاب الحواة هذه ..

ومستمتعة لاحظت (عبير) كم أن صاحبى المهنة الواحدة قد لعب التنافس بينهما .. إن (هولمز) يغار من (بوارو) لأن الأخير يفهم فى السموم جيدًا كأى طبيب شرعى ، والسبب هو أن (أجاثا كرستى) عملت فترة فى قسم السموم بالمستشفى فى أثناء الحرب العالمية

(★) د. (جوزيف بل) الذى اقتبس منه (دويل) كل ملامح شخصية (هولمز) .

الأولى .. لكن (بوارو) يغار من (هولمز) لطريقته الشبيهة بالسحر فى الاستنتاج ، ولكونه إنجليزيًا يلعب فى ملعبه الخاصّ ..

وعلى المستوى الشخصى نجد أن (هولمز) أقرب للكسل .. مهمل جدًا إلى درجة أنه يتسلى بإطلاق الرصاص على الحائط ليكتب حروف اسمه بالثقوب ! بينما (بوارو) هو النظام والدقة مجسدين ، بالإضافة إلى حيويته الكهربائية الدافقة ..

قال (هولمز) وهو يشعل غليونه المصنوع من الكهرمان :

ـ « الرجل الذى نبحث عنه هو شخص سافر إلى (إفريقيا) ، ويعرف شيئًا عن العناكب السامة .. وهو كذلك شخص قادر على دخول مخدع ليدى (فريوورد) وإقناعها بالجلوس فى الباتيو على سبيل الدعابة ، ثم إفراغ طلقة فى رأسها .. وهو شخص يملك الدافع كى يتخلص من زوجة مستغلة ، وابنةَ أختها التى يمنعنى التهذيب كمواطن بريطانى من اعتبارها أفعى ثم هو شخص يعرف أن (البطة الصغيرة) هو اسم التدليل لليدى (فريوورد) !

فى ضيق قال (بوارو) :

ـ « قديمة .. أنت تتهم اللورد وكذلك فكرنا نحن .. لكن أتمنى لو أخبرنى المخبر العبقرى (هولمز) بالكيفية التى هبط بها العجوز على الشجرة بعد إتمام جريمته .. »

قال (هولمز) فى كبرياء دون أن ينظر إليه :

ـ « الرجل متمارض .. هذا واضح تمامًا من مشيته وطريقته فى الكلام .. إنه ينسى حالته التمثيلية عندما يندمج فى الكلام .. لقد قابلته وأنا فى طريقى إليكم ، وأؤكد لكم أن هذا الرجل قادر على الهبوط من نافذة .. »

صاح (واطسون) فى انبهار :

ـ « لقد فعلتها يا (هولمز) ! »

ـ « بديهى يا عزيزى (واطسون) .. بديهى .. »

ـ « لا أدرى ما هو البديهى فى الأمر .. كيف تسلل الرجل إلى غرفة (سارة) ومتى ، بينما هو ظلّ جالسًا طيلة التحقيق الأول ؟ »

هذه طبعًا كانت من (بوارو) ..

قال (هولمز) :

ـ « الأمر هيّن .. يطلق الرصاص على الزوجة ، ثم يخرج من النافذة ، ويدور حول القصر ويدخل إلى غرفة الآنسة (سارة) ، بينما كل الموجودين فى الطابق العلوى يتساءلون عن مصدر صوت الطلقة .. يضع العنكبوت فى فراشها ، ثم يخرج إلى الردهة متسائلاً عن صوت الرصاص .. »

نظر المفتش (بلاكفيلد) إلى (بوارو) ، وقال وهو يشعل غليونه :

ـ « يبدو هذا منطقيًا يا مسيو (بوارو) .. العنكبوت كان بوسعه الانتظار .. »

هزّ (بوارو) رأسه فى ضيق ، وغمغم :

ـ « لا أبتلع هذا التفسير .. خلايا مخى الرمادية تأباه .. »

فرغ (هولمز) من ارتداء قفازيه ، ووضع (الكاسكيت) على رأسه متأهبًا للرحيل ، وقال :

ـ « لقد أشرقت الشمس تمامًا ، وحان موعد الإفطار .. إن بعض الشاى مع الخبز المقدد والزبد يناسبنى حتمًا .. هل تلحق بى يا (واطسون) ؟ »

هنا قاطعه (بلاكفيلد) ، وقال وهو يشعل غليونه :

ـ « لحظة .. ما المطلوب منا بالضبط ؟ »

ـ « اعتقل اللورد يا سيدى المفتش ، ولسوف تظفر باعتراف كامل .. »

فى خبث ، قال (بوارو) وهو يمشط شاربه :

ـ « وأين اللورد ؟ »

ـ « لا بد أنه عاد إلى حجرته .. »

فى أدب تدخل (هنرى) رئيس الخدم ، وهزّ رأسه :

ـ « ليغفر لى سيدى .. لكن سيدى اللورد لا يردّ .. »

قالت (عبير) وقد بدأت تفهم :

ـ « هل .. هل ؟ هل مات ؟ »

ـ « أخشى أن هذا صحيح يا آنستى .. إنه فى حجرته مفتوح العينين لا يرى برغم عينيه المفتوحتين ، وفى

يـده سـيجار كان يدخنـه وقت الوفـاة .. والأدهى أن جواره على الأريكة كتاب .. كتاب أطفال .. »

فى هلع وثبت (عبير) وصرخت :

- « من جديد ؟ وما الأغنية فى هذه المرة ؟ »

بوقار ترنَّم رئيس الخدم :

- « ثلاثة .. ستة .. تسعة ..

شربت القطة جعة ..

والقرد دخن الطباق فى عربة الترام ..

تحطم القضيب ، وشرق القرد بما دخن ..

وصعدوا جميعًا إلى السماء بقارب ذى مجدافين ! »

★ ★ ★

الجزء الثالث

يا سيدى القوميسير

يقوم بالتحقيق

المفتش (ميجريه)

٨ ـ المفتش (ميجريه) ..

انتزع (بوارو) السيجار من بين أصابع اللورد المتقلصة ، ورفعه إلى أنفه يشمه ، ثم غمغم :

ـ « سيانيد ! لقد حشا له أحدهم السيجار بالسيانيد(*) ! »

هتف (بلاكفيلد) وهو يشعل غليونه :

ـ « يا إله السموات ! (القرد دخن الطباق .. وشرق القرد بما دخنه) .. إن القاتل المخبول يتمسك بأغانى الأطفال حرفيًا .. »

وقال (هنرى) مذعورًا وقد بدأ يفقد وقاره :

ـ « إن اللورد يبدأ يومه بتدخين سيجار أثناء قراءة (التايمز) ، وبعد شرب القهوة .. هذه عادته ، وأنا من يختار له السيجار ويضعه فى صحن من الكريستال جوار القهوة ! »

(*) للسيانيد رائحة مميزة هى رائحة اللوز المر .

قال (هولمز) وهو ينزع قفازيه :

ـ « سيكون موقفك عسيرًا يا صاحبى .. عليك أن تثبت لنا أنك لم تضع هذا السيجار بالذات .. »

ونظر فى غلّ إلى (بوارو) .. كان يشعر بعدم ارتياح تجاه السموم عامة ، وبصعوبة كان يميز الزرنيخ من السيانيد .. لقد انتقل اللعب إلى ملعب آخر غير ملعبه ، بالإضافة إلى أن براءة اللورد قد أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك .. بعد فوات الأوان طبعًا ..

لمرة واحدة أخطأ (هولمز) العظيم ..

قال (بوارو) وهو يناول السيجار إلى المفتش :

ـ « أعتقد أن علينا أنا و (هولمز) أن نقيم لفترة فى هذا القصر ، وحتى نجد حلاً لهذه الجريمة المستغلقة .. »

★ ★ ★

وهكذا عاش (بوارو) و(هولمز) بين جدران القصر ..

هذه هى مزية التقاعد والفراغ .. ولكم ودّت (عبير)

لو تنعم بهذا الوضع ، لكنها كانت متهمة بعنف ومتورطة حتى الأذنين ؛ حتى ليختلف الوضع تمامًا عن مغامرتها الأولى حين كانت مجرّد (شاهدة ملك) على جرائم الآخرين ..

خرجت إلى الحديقة تتنسم نور الشمس .. حين يغيب نور الشمس طويلاً ـ كما فى عاصمة الضباب (لندن) ـ يمكنك حين تراه أن تشمه وتذوقه وتلمسه وتحسّه ..

لم تبد لها الحديقة بالحسن السابق .. مجرّد فناء سجن فى موعد النزهة اليومية ، بانتظار سماع الصفارة التى تدعو القوم للعودة إلى الزنزانة ..

كان (مايكل) واقفًا جوار حوض من زهور البنفسج ، يدخن غليونًا ـ كل الناس هنا يدخنون الغلايين ـ شاردًا فى خواطره الخاصة ، فدنت منه وهزّت رأسها محيية ..

قال لها فى شىء من الضيق :

ـ « (ملدريد) .. قلت لك مرارًا ألا داعى لإظهار مودتنا المتبادلة أمام كل هؤلاء المرتابين .. »

ـ « وقلت لك مرارًا إننا لن نضيف جديدًا لسوء موقفنا .. »

هزّ رأسه ، ونفث المزيد من الدخان ، وأصلح من شارة الحداد السوداء على ذراعه ، فقالت :

ـ « لم أعزّك بعد على وفاة الوالد .. »

ابتسم فى مرارة :

ـ « يؤنبنى ضميرى على ما كان منى نحوه .. لقد صار الطريق مفتوحًا أمامنا الآن كى أرث (جارفيلد هاوس) وأتزوجك ، لكنى لا أشعر بأى نوع من الفرح .. »

ابتلعت الإهانة المضمنة فى الكلام ، وقالت :

ـ « قبل هذا يجب أن تفلت من المشنقة ، وتتجاوز شكوك اثنين من عتاة المخبرين .. »

ـ « بل ثلاثة ! »

وقفا أمام النافورة يرمقان مياهها المتدفقة فوق أجساد النسوة الإغريقيات ، وسألته :

ـ « ثلاثة ؟ »



وقفا أمام النافورة يرمقان مياهها المتدفقة فوق أجساد النسوة الإغريقيات ، وسألته : « ثلاثة ؟ » !

- «نعم .. لقد جاء المفتش (ميجريه) من (باريس) هذا الصباح .. هل تعرفينه ؟ »

- « قرأت له قصتين .. من أحضره ؟ »

- « رجال (سكوتلانديارد) .. يبدو أن كل مخبر شهير فى العالم قادم إلى هنا بغرض تسليتك ، ويا لها من تسلية ! »

* * *

كانت تعرف المفتش (ميجريه) ، لكنها لم تستطع قط أن تحبه كما أحبت (بوارو) و (هولمز) ..

إن المفتش (ميجريه) رجل عجوز صارم هو رئيس إدارة البوليس فى (باريس) ، وله مجموعة هائلة من القصص التى كتبها (جورج سيمنون) لتحرز نجاحًا فائقًا ..

لقد أحب الناس جوَّ قصص (ميجريه) لأنه جو باريسى بشدَة .. وبالذات جوّ (باريس) ما بعد الحرب العالمية الثانية .. المدينة المرهقة الجريحة التى تهدمت أكثر أحيائها وبرغم هذا لا تموت ..

قصص لها بالضبط نفس مذاق صوت (إديت بياف) التى بكت (أوربا) كلها حين سمعت صوتها العميق الأليم يقول : الحياة زهرة(*) ..

لقد عاش المؤلف (جورج سيمنون) فى (سويسرا) لكنه بلجيكي الأصل ، وسافر مهاجرًا عام ١٩٤٥ إلى (نيويورك) بالولايات المتحدة حيث قدم شخصية مفتشه الفرنسي ! ، ويا له من خليط من الجنسيات يثير الارتباك !

المفتش (ميجريه) هو - على قدر علمى - المخبر الوحيد المتزوج فى قصص (من فعلها ؟) هذه ، وحياته مستقرة باسمة ، وزوجته سيدة فرنسية فاضلة ، وعمله الرسمى هو فى إدارة الأمن العام بـ (باريس) ..

قصصه لاقت عاصفة من الإعجاب فى كل مكان ، لكن (عبير) لم تحبها قط ، وأعترف أننى - كاتب هذه السطور - عجزت تمامًا عن فهم سرّ نجاحها .. إنها قصص مملة .. مملة .. مملة ..

(*) (إديت بياف) هى (أم كلثوم) (فرنسا) .. بلا مزيد من الشرح !

هل نسيت شيئًا ؟

آه ! لقد ولد (ميجريه) عام ١٩٣٠ بقصته الأولى (مصرع مسيو جاليه) ، ومن وقتها كتب (سيمنون) أكثر من ٣٥٠ رواية يقوم (ميجريه) ببطولة مائة منها !

* * *

بدأ المفتش (ميجريه) تحقيقاته فور وصوله ..

استدعوا (عبير) لتقابله فدخلت ، وقد صممت على أن تكون فظة سمجة .. لا مزيد من التلميحات السخيفة بعد اليوم ..

كان المفتش الفرنسى جالسًا أمام منضدة واضح أنه تناول إفطاره عليها .. قهوة .. كرواسان .. إفطار فرنسى جدًّا ..

كان يرتدى قبعة سخيفة ، وله شارب كث أشيب ، ووجهه مُرهَق مُتعب كأى موظف إدارى أرهقته الأعباء ..

سألها السؤال المعتاد :

ـ « ماذا تعــرفين عن مسلســل الجرائم فى هذا القصر ؟ »

تكفل مترجمه المعتمد ـ (جوزيف) الذى يرافقه فـى كل القصص ـ بأن ينقل لهـا سؤاله إلـى الإنجليزيـة ، وهو مجهود لا داعى له لأن اللغات ليست مشكلة فى (فانتازيا) ..

حكت للمرة الألف قصتها كاملة ، وأضافت :

ـ « هنـاك شـهود على أننى كنت موجودة فى أثناء مقتل الليدى (فريوورد) واللورد (فريوورد) .. لـو اسـتطعت اتهـامى بشـىء فليكــن مصــرع (ســارة ماكلارين) .. »

ابتسم ابتسامة متعبة من وراء شاربه الكث ، وقال :

ـ « من يدرى ؟ ربما لا أنـوى اتهامك بشىء .. إن الجانى لا بد من أن يكون هو الجانى .. الشخص الذى أتيح له الاختفاء فى الجرائم الثلاثة يا مدموازيل .. »

فى حماس قال (جوزيف) :

ـ « هو كذلك أيها القومسيير .. »

قال (ميجريه) وهو يقلب الأوراق أمامه فى تؤدة :

- « هناك كثير من الخدم تنطبق عليهم المواصفات ، لكن يبقى هذا بدون دافع .. لا بد من (دافع للجريمة + سلاح جريمة + جثة) كى تكتمل جوانب الدعوى ..»

« ثمة شخص آخر يمكن أن تنطبق عليه كل الشروط .. »

- « حقًا .. ومن هو أيها القومسيير ؟ »

دندن لحنًا فرنسيًا حزينًا وهو يغلق الملفَ أمامه ، وقال :

- « (مايكل فريوورد) .. لم يره أحد وقت سماع الرصاصة ، وبعدها شوهد يصعد للحجرة .. لم يره أحد فى أثناء موت (سارة) ، ولم يكن هنا حين قتل اللورد ! »

حقًا لقد اختفى (مايكل) تمامًا بعد الحديث الهامس الذى دار بينهما بعد مقتل (سارة) .. ما معنى هذا ؟ التحقيقات جارية بينما ينسحب هو ليضع للُورد سيجارًا مسمومًا .. و ...

قال (ميجريه) فى هدوء :

ـ « لاحظى أن آخر جريمتين كانتا من النوع الذى لا يحتاج إلى قاتل لحظة القتل .. ضعى عنكبوتًا سامًا فى فراش (سارة) ، وسيجارًا مسمومًا فى متناول (هنرى) الخادم ليدخنه اللُّورد .. بهذا كان بوسع (مايكل) أن يحضر التحقيق ، بينما يقوم العنكبوت والسيجار بعملهما .. »

ـ « الكلام ذاته ينطبق علىّ أنا .. »

ـ « لاحظى أنك لم ترتكبى أول جريمة .. لا يوجد سبب يدفعك للقيام بالثانية أو الثالثة .. »

شهقت فى رعب .. لا ، ليس (مايكل) .. إنها تعرفه وتفهمه ، ومن المستحيل أن يقتل ، بل ـ الأدهى ـ يقتل من أجلها .. (شريف) لن يفعل هذا أبدًا ! (ميجريه) يتعامل بغباء إدارى بيروقراطى مع الأمر ..

لكن المشكلة الحقيقية هى أن (مايكل) يملك أقوى دافع للقتل .. كيف لم تفطن لهذا من قبل ؟

قال (ميجريه) فى هدوئه الممل :

ـ « استدع السيدين (بوارو) و (هولمز) يا (جوزيف) .. »

* * *

بعد دقائق دخل الغرفة (هولمز) وتابعه ، و (بوارو) وتابعه .. كان (هولمز) متضايقًا بحق ، وقال في كبرياء :

ـ « سيدى .. أنت لست فى إدارة الأمن العام كى تصدر الأمر بإحضارنا .. بل أنت أساسًا ضيف على صاحبة الجلالة ، ولولا الظروف لما سمحنا لفرنسى بأن يحقق مع واحدة من رعايا صاحبة الجلالة .. »

دون انفعال قال (ميجريه) :

ـ « هل هناك ما يعيب الفرنسى ؟ »

ـ « كلكم همج واسمح لى بهذا .. أمة من أكلة الضفادع ! »

ـ « وماذا تريد إذن ؟ »

قال (هولمز) وهو يكوّر قبضته :

ـ « لولا سنك ومركزك لدعوتك إلى مباراة ملاكمة .. أنا كما تعرف بطل ملاكمة .. »

هنا تدخل (بوارو) وقد راق له أن (ميجريه) مواطن له بشكل ما ..

ـ « دعك منه يا (ميجريه) العزيز .. كلانا نتحدّث الفرنسيّة ونتذوق الضفادع ، ونعرف أن الإنجليز هم أسمج شعب فى الأرض .. لماذا طلبت منا المجىء ! »

قال (ميجريه) وهو يصبّ مزيدًا من القهوة :

ـ « لقد انتهيت من حلّ القضيّة قبل أن تبرد قهوتى .. إن الفتى (مايكل فريوورد) هو من فعلها .. »

ـ « والدليل ؟ »

ـ « الاستبعاد .. »

قال (هولمز) وهو يجلس ويشعل غليونه :

ـ « لقد فكّرنا قبلك بقرون فى هذا الاحتمال .. لكن (مايكل) كان مع (سارة) فى الحديقة فى العاشرة

وعشر دقائق ، وما كان بوسعه أن يفرغ الرصاص فى رأس الليدى (فريوورد) ؛ ثم إنه ما كان ليستطيع دخول مخدعها لأنها لا تثق به فى الفترة الأخيرة .. »

تساءل (ميجريه) :

- « ربّاه ! وهل أكّدت (سارة) أنه كان معها فى الحديقة ؟ »

- « نعم .. فى التحقيق الأول الذى حضره مواطنك (بوارو) .. »

- « هى كاذبة .. كانت تحاول حمايته .. »

- « ليس لديها مبرّر للكذب خاصة أنها لم تعد تطيقه .. »

تنفست (عبير) الصعداء .. ها هى ذى ضربة .. ضربة محسوسة حقًا كما يقول (شكسبير) ..

قال (ميجريه) وقد تضايق من هذه الاعتراضات :

- « الأمر بسيط .. لو استبعدنا (مايكل) و(ملدريد) من الاتهام ؛ فلن يبقى أمامنا مشبوه واحد .. »

اتجه (بوارو) إلى النافذة ، وراح يرمق الحديقة التي استحمت في ضوء الشمس وهي لحظات نادرة حقًا في بلد الضباب هذا ..

قال دون أن يلتفت للوراء :

ـ « الخيط الذي يربط بين اللورد وزوجته وابنة أخيها .. هذا هو الخيط الذي يساوي آلاف الجنيهات .. هب أنني خادم وأن أبي قد أوصاني قبل أن أموت بالانتقام من اللورد وأسرته ، وهب أنني فعلت ذلك .. كيف يمكن الاستدلال عليّ ؟ »

قال (هولمز) :

ـ « هكذا يضيع أساس بحثنا تمامًا .. نحن بحاجة إلى أرض ثابتة نقف عليها يا سيدي ، وأنت تجعل أي شيء ممكنًا .. ما رأيك أيها القومسيير ؟ »

قال (ميجريه) بطريقته الباردة المتراخية :

ـ « (مايكل فريوورد) هو من فعلها ، ولا أحد سواه .. سأجد التفسير المنطقي لما قالته (سارة) حالاً .. »

- « أنت أحمق يا سيدى لو سمحت لى بهذا .. »

* * *

وفى الرابعة عصرًا بالضبط ..

فى الرابعة عصرًا حدث الحريق فى غرفة (مايكل فريوورد) ، ولا داعى لذكر أن (مايكل) كان بالغرفة ..

وواحد آخر يعضَ التراب ، كما يقول الإنجليز ..

* * *

الجزء الرابع

بلا عنوان

يقوم بالتحقيق
إيلرى كوين

٩ - رجل من نيويورك..

تذكر (عبير) الصراخ المتواصل من أكثر من حنجرة :

- « هاتوا الماء ! »

- « بحق السماء ساعدنى يا (واطسون) ! »

- « هشم الباب يا (هاستنجز) .. »

- « (ماااااايكل) ! »

- « حفظ اللّٰه الملكة .. إنه لحريق مخيف ! »

* * *

كانت تصرخ ، وحاولت مائة مرة أن تفلت من أيديهم لتلقى بنفسها فى فم الوحش البرتقالى الرهيب ، الذى يتنفس لهبًا ويزفر دخانًا أسود .. (مايكل) بالداخل .. هى واثقة من هذا ..

الخدم يجرون حاملين دلاء الماء التى ينسكب

نصفها على البساط ، ويبدو أنها فقدت الوعى مرتين أو أكثر ، لأن تسلسل الأحداث لم يكن دقيقًا كما يحدث حين ينقطع شريط الفيلم السينمائى ..

أخيرًا كانت راقدة على أريكة فى الصالة الرئيسية ، بينما الدخان يملأ المكان ، والدكتور (واطسون) يسقيها شيئًا فى كوب ، أدركت أنه مشروب من تلك المشروبات لهذا أبعدت يده سريعًا ..

ـ « أنت بحاجة إلى جرعة منشطة .. »

ـ « أنا نشيطة ولله الحمد .. »

ثم صرخت بأعلى عقيرتها :

ـ « (مااااايكل) ! »

كما تولول أم (شيحة) فى الحارة كلما مات زوجها .. وهو قد مات سبع مرات بالمناسبة !

قال (هاستنجز) وهو يرش وجهها بالماء :

ـ « لقد تفحم تمامًا .. لا بد أنه مات قبل اشتعال النار لأنه لم يغادر مكانه على الفراش .. »

بعد دقـائق ظهر أحد رجـال الإطفـاء ملـوث الوجـه بالرماد ، بادى الإرهاق ، ولوّح بلفافةً :

ـ « وجدنا هذه معلقةً جوار باب الحجرةَ .. لقد تـم لفها بمادة (الإسبنوس) كى لا يحترق محتواها ! »

دون أن ينتظر مدّ (بـوارو) يـده ليفتـح اللفافـة ، فصاح (ميجريه) :

ـ « البصمات ! »

بنفاد صبر قال (بوارو) :

ـ « لا بصمات فى هذه القصـص .. كلهم يستعمل القفازات .. »

ولـوّح بالكتـاب ذى الغـلاف السـميك الـذى اعتـاده الجميع هنا .. كتاب أغانى الأطفـال الـذى صـار رهيبًـا كئيبًا .. كانت هناك قصاصة تخـرج منـه مشيرة إلـى صفحةً بعينها ، ففتح الصفحةً وقرأ بصوت عال :

ـ « لا بد من أغنيةً عن النار .. آه ! ها هى ذى ..

« يا خنفسة .. يا خنفسة ..

إجرى إلى بيتك فقد احترق ..

مات كل أطفالك ماعدا واحدة ..

اسمها (آن) ، وقد اختبأت تحت المقلاة .. »

فى استمتاع قال (هولمز) وهو يردد لحن الأغنية :

- « هذا حق .. كنا نغنيها فى طفولتنا كلما قابلنا خنفسة من نوع (أبو عيد) .. كانوا يقولون إن هذه الخنفسة تصدق كل ما يقال عن الحرائق ! آه ! ألا ليت الشباب .. »

قال (ميجريه) فى غيظ :

- « لقد وجه لنا القاتل ضربة أخرى قوية .. وبينما نحن جميعًا ها هنا .. »

- « واضح تمامًا أن نظريتك بصدد (مايكل) خاطئة .. »

- « قال (بوارو) وهو يتصفح الكتاب :

- « لقد صار من واجبنا دراسة كل أساليب الموت فى هذا الكتاب ، لنمنع الجريمة التالية .. »

ـ « من قال إن هناك جريمة تالية ؟ »
ـ « ومن قال إنه ليست هناك جريمة تالية ؟ »

هنا دخل المكان المفتش (بلاكفيلد) ، رجل (سكوتلانديارد) الذى لم يفعل أى شىء منذ بداية القصة سوى إشعال غليونه ، وقال وهو يشعل غليونه :

ـ « القضية تزداد عسرًا ، وتتحدى ذكاء المستر (هولمز) والمسيو (بوارو) و(ميجريه) .. لهذا وجهت الدعوة لمفتش بارع من (نيويورك) وولده .. إن الولد هو الأكثر شهرة .. إنه المستر (إيلرى كوين) .. »

صاح (بوارو) فى غيظ :

ـ « لقد صار هذا القصر مزدحمًا كعلبة السردين .. من قال إننى بحاجة إلى هؤلاء جميعًا ليساعدونى ؟ »

لكن (عبير) كانت تعرف الإجابة .. ليس اللغز هو المهم .. المهم أن يجتمع هؤلاء فى مكان واحد لتسليتها .. ويا لها من وضعية مستحيلة يحتشد فيها أشخاص متباينون فى الجنسية والفترة الزمنية ، فلا يجمع بينهم سوى سؤال واحد : من فعلها ؟

مالت تسأل (بوارو) همسًا :

ـ « من هو مؤلف قصص (إيلرى كوين) ؟ »

ـ « إنه (إيلرى كوين) نفسه ! »

ـ « هل المؤلف هو بطل القصة ؟ ولا ترى فى هذا أية غرابة .. »

ـ « نعم .. وأظنه المؤلف الوحيد الذى فعل ذلك .. والقصة بعد هذا ملآى بعبارات المديح لذكاء (إيلرى كوين) وشجاعته ووسامته وانبهار النساء به ! إن المستر (كوين) مؤلف لا يتخلق بالتواضع ! »

* * *

والحقيقة هى أن الأمر ليس بهذا السوء ..

إن المؤلف المدعو (إيلرى كوين) شخصية وهمية .. اسم مستعار يتوارى وراءه الأمريكى (فردريك داناى) وابن عمه (مانفريد لى) ، وعامة يقوم الأول بابتكار الفكرة ، بينما يقوم الثانى بالعمل الكتابى كله ، وفى النهاية يوقعان القصة باسم (إيلرى كوين) ..

(إيلرى كوين) المخبر، هو من أكثر مخبرى القصص منطقية وبراعة فى تحليل الحدث.. إنه شاب أرستقراطى ولد لأب مفتش فى الشرطة النيويوركية هو (ريتشارد كوين) ، والابن وسيم متأنق يناسب تمامًا صورة النجم السينمائى ، بالإضافة إلى نفوذ أبيه الذى يسهّل له دخول مسارح الحوادث واستقاء الأخبار من الشرطة مباشرة ..

ولد (إيلرى كوين) عام ١٩٢٩ فى قصة (لغز القبعة الرومانية) وبعدها توالت قصصه الناجحة العديدة ، وتحوّل إلى رمز لمؤسسة كاملة تتعاطى الروايات البوليسية ، ويمتاز (إيلرى كوين) المؤلف بأنه استطاع تقديم سلسلة شائقة من الحلقات الإذاعية ، كما أصدر مجلة بوليسية تحمل اسمه ..

ويختلف (إيلرى كوين) عن (أجاثا كرستى) فى نقطة مهمة : إن (أجاثا) تهتم بالشخصيات وخلفياتها ، بينما يهتم (كوين) بالجريمة ذاتها ويستخلص منها كل شىء بدقة ..

وإمعانًا فى استعراض براعته أكثر ، اعتاد (كوين) أن يقدم نهايتين مختلفتين لكل قصة من قصصه ، مع تقديم المبررات الكافية التى تقنع القارئ فى كل مرة بأن هذه النهاية المثلى ..

ومن عباءة (كوين) خرج كاتب بوليسى شديد الأهمية هو (جون ديكنسون كار) ، وقد قلد (كوين) فى كل شىء حتى اختلط الأمر على القراء أكثر من مرة ..

* * *

كانت (عبير) فى أسوأ حال ، فلم تتحمل أن ترى الأخ (إيلرى كوين) القادم مع أبيه ليوجه المزيد من الأسئلة .. لقد حكت هذه القصة مليون مرة ، وما من شاعر ربابة عجوز فى الصعيد حكى السيرة الهلالية هذا العدد من المرات ..

ـ «كنت مع (جورج فريوورد) فى العاشرة وعشر دقائق أغنى .... ثم شممت الحريق ولم أدر ما حدث بعدها .. »

ثم شهقت إذ رأت رجلى الإسعاف يحملان النقالة ، وعليها شيء يتصاعد الدخان منه .. هذا هو (مايكل) وقد تحوّل إلى قطعة فحم .. لها شكل بشرى ..

بكت وغطت وجهها .. فقال (كوين) فى تهذيب :

ـ « معذرة .. لابد أن هذا المشهد أليم بالنسبة لك .. »

ثم نهض ودسّ لفافة تبغ غريبة المنظر فى فمه ، أشعلها بقدّاحة ذهبية ، وتأمّل المخبرين الآخرين ، (هولمز) و(بوارو) و(ميجريه) ، ثم قال فى تعال :

ـ « أرى أنكم بطيئوا الفهم يا سادة .. هذه مشكلة ألا يكون المرء أمريكيًا .. كم رجلاً مسلحًا تركتم لحراسة (جون فريوورد) الصغير ؟! »

توتّر (ميجريه) ووثب من مقعده :

ـ « ماذا ؟ لم نترك أى واحد ! »

نظر (كوين) إلى أبيه ، وتبادلا نظرة من طراز (ألم ـ نتوقع ـ هذا ؟) وابتسما ..

هنا صاح (بوارو) :

- « هل تشك فى ...... ؟ »

- « أنا لا أشك بل هو يقين كامل .. إن عملية إبادة ورثة (فريوورد) مستمرة بفعل فاعل معين .. وأعتقد أن آخر الورثة هو (جون فريوورد) .. أين هو الآن ؟ »

- « إنه معتكف فى غرفته .. لقد رأى أسرته تتآكل فى غضون يومين .. فقد أباه وأمه وابنة خالته وابن أبيه .. عسير على من كان فى سنه أن يتحمل هذا .. »

- « إذن أرجو أن يذهب رجلا شرطة للإقامة معه حالاً .. »

تأخر كثيرًا جدًا فيما يبدو ..

لأن صرخة الصبى دوّت فاهتزّ لها القصر بأكمله ..

★ ★ ★

١٠ ـ عناكب وستركنين وسيانيد

« إننى أكرهك يا دكتور (فيل) ..

والسبب لا أستطيع أن أخبرك به ..

لكنى واثق من شىء واحد ..

أنا أكرهك يا دكتور (فيل) .. »

* * *

هرع الجميع إلى مصدر الصرخة ، وهو مشهد مسلٍ بحق لو رأيته ..

(بوارو) البدين يهز شحم بطنه ، و(هولمز) يركض فى وقار إنجليزى صميم ، بينما (ميجريه) يسعل حتى ليوشك على الإصابة بأزمة قلبية ، و (إيلرى كوين) محافظ على وسامته كأنما يمثل فيلمًا سينمائيًا ..

هرعوا إلى غرفة الصبى ، وبطبيعة الحال كانت (عبير) هى أول من فتح الباب لأنها لم تتحمل فكرة أن يموت (جون) بدوره ..

كان واقفًا جوار الفراش ـ حيًا لحسن الحظ ـ منكوش الشعر دامع العينين حافى القدمين محمر الأذنين مرتجف اليدين ..

وعند قدميه كان الكلب (الجريفون) الذى اعتـاد أن ينام ويصحو معه .. كان الكلب ميتًا كقطعة من العجين ..

صاح الطفل فى هلع :

ـ « (ماكسمليان) العزيز ! لقد مات ! »

كانت (عبير) تجـد غرابة فى تسمية كلب باسم (ماكسميليان) ، ثم أدركت أن هذا الاسم الألمانى طبيعى جدًا على كلب فى هذه السنوات التى تلت الحـرب العالمية الأولى .. لقد كان الألمان عدو أوربا رقم واحد بين عامى ١٩١١ و ١٩٤٥ .

قال (هولمز) وهو ينحنى ليجس نبض عنق الكلب .

ـ « أخشى يا بنى أنه مات حقًا .. ما هو السبب ؟ »

نظر (بوارو) حوله .. وعلى الكومود وجـد كتـاب أغانى الأطفال إياه مفتوحًا على صفحة معينة ..

رفعه وبصوت مسموع قرأ :



وعند قدميه كان الكلب (الجريفون) الذى اعتاد أن ينام ويصحو معه ..
كان الكلب ميتاً كقطعة من العجين .. صاح الطفل فى هلع :
ـ « (ماكسمليان) العزيز ! لقد مات ! » ..

- « إننى أكرهك يا دكتور (فيل) ..
والسبب لا أستطيع أن أخبرك به ..
لكنى واثق من شىء واحد ..
أنا أكرهك يادكتور (فيل) »
قال (هولمز) وهو يلهث لينهض واقفًا :
- « هذه أغنية أطفال شهيرة .. تعكس خوف الأطفال الدائم من الأطباء ، فهؤلاء يفعلون كل ما هو مؤذ .. دواء مرّ .. كبسولات تنحشر فى الحلوق .. حقن مؤلمة .. »

مال (بوارو) على الصبى ، وربَّت على كتفه :
- « طبعًا أنت جعلت الكلب يشرب دواءك المهدئ الذى أحضره لك طبيب الأسرة .. »
- « نـ .. نعم .. »
- « هل لى فى رؤية الزجاجة ؟ »
بيد مرتجفة أشار الصبى إلى زجاجة على المنضدة المجاورة للفراش ، فتناولها (بوارو). وشمها .. ثم غمغم :

ـ « لا غرابة فى موت الكلب .. إن هذا (ستركنين)..»

هنا صاحت (عبير) :

ـ « هل لـ (ستركنين) رائحة مميزة ؟ »

ـ « لا .. لكن جثة الكلب المتصلبة المتشنجة تـدلّ على ذلك .. »

ـ « إذن لماذا شممت الزجاجة ؟ »

غمغم بارتباك :

ـ « هذه هى التقاليد .. »

قال (كوين) بلهجة تقريرية عملية :

ـ « الأمر واضح وكما توقعته .. جريمة قتل مدبَّرة لم ينجُ منها الصبى إلا لأنه يمقت مذاق الدواء .. لقد جعل الكلب يشربه على سبيل التهرب من المسئولية ، ولأنه لم يتحمل أن يسكبه فى المرحاض .. »

و لـ (هنرى) الخادم وجه السؤال التالى :

ـ « من وأين طبيب الأسرة ؟ »

كان (هنرى) واقفًا فى كبرياء يرقب الأحداث ، فردّ :

- « دكتور (جاك فيل) .. لقد ضايقته حالة سيدى الصغير الصحية ، لذا كتب له بعض المقويات وشرابًا مهدئًا .. إنه فى عيادته بشارع (هارلى) الآن »

- « فليستدعه رجال الشرطة .. »

ثم سأل (هنرى) مضيقًا عينيه :

- « هل لك أن تصف لى هذا الطبيب ؟ »

- « لو سمح لى سيدى ، فإننى أقول إنه ليس جميلاً ، وقد كان سيدى اللورد يصفه بالقرد .. هذا لو سمح لى سيدى بقول هذا »

واحمرَّ وجهه ، فقهقه (كوين) عاليًا :

- « لا عليك أيها الرجل الطيب .. إن الأمور تتحسن هنا .. »

* * *

حين دخل الدكتور (فيل) المكان مع الكونستابل ؛ كتم الجميع ضحكاتهم لأن منظره كان أقرب شىء لكلام الخادم .. لا بد أن (داروين) رآه حين ألَّف كتابه (أصل الأنواع) وألهمه بموضوع القردة هذا ..

قرد غاضب .. هذا هو الدكتور (فيـل) حين دخل المكان ، وقـال واللعـاب يتناثر مـن فمـه ممـا لم يجعله أكثر جمالاً :

ـ « (ستركنين) ! أنا لا أخطئ يا سادة ولا أدسّ السمّ لمرضاى .. بوسع أى إنسان أن يسكب سمًّا فى زجاجة الدواء بعد ما أكتبها ، وهذه ليست مسئوليتى .. »

فى غموض قال (كوين) :

ـ « ماذا تعرف عن (آن) ؟ »

بـدا الذهول والدهشـة علـى وجـه الطبيب .. وفـى غباء غمغم :

ـ « (آن) ؟ إنه اسم شائع .. بالتأكيد عرفت مائة (آن) فى حياتى ، فأية واحدة تقصد ؟ »

هز (كوين) رأسـه ، والتفت إلى (هولمز) :

ـ « فلنجرب موهبتك فى الفراسة يا مستر (هولمز).. من أين جاء هذا السيد ومن هى أسرته ؟ »

برغم غرابة الطلب تأمل (هولمز) الطبيب ، ثم غمغم :

- « لقد عاش فى الهند فترة لا بأس بها ، ويبدو أن لـه جذوراً هنديـة مـا ربمـا مـن ناحيـة الأم .. مـن المؤكد أن الأب إنجليزى .. وواضح أن الطبيب جاء إلـى هذه الناحيـة مـن فترة قريبـة لا تتجـاوز العشـر سنوات .. »

ابتسم (إيلرى كوين) ونظر إلى (بوارو) وغمغم ..

- « ما رأيك أنت ؟ »

قال (بوارو) فى ضيق ممشطاً شاربه :

- لا أرى ما ترمى إليه .. »

نظر (كوين) فى ثقة إلى الكونستابل وقال لـه بلهجة آمرة :

- « أريد أن تسأل صيدلى المقاطعة عن مبيعات السيانيد والستركنين فى الفترة الأخيرة .. من اشترى ماذا ومتى ؟ »

وسأل الطبيب :

- « هل أنت مولع بالعناكب السامة ؟ »

ـ « سيدى .. اسمح لى أن أنعتك بالمخرّف الكبير .. كل ما تقول يعوزه الترابط .. وكل هذا الهراء عن الهند .. و .... »

قال (هولمز) فى كبرياء :

ـ « إن فراستى لا تخطئ .. »

هزّ الطبيب كتفيه فى إرهاق ، وغمغم :

ـ « ليكن .. أنا مولود فى الهند .. لكن هذا لا يعنى .. »

قال (كوين) وهو يجوب القاعة فى زهو :

ـ « اجلسوا وسأشرح لكم كل شىء .. »

* * *

قال (كوين) بعدما أشعل لفافة تبغ :

ـ « لقد استجوبت كل الموجودين ، ولاحظت نقطة ربما لم يلحظها أحدكم من قبل .. عندما ماتت (سارة) وقف الكل مذهولين أمام غرفتها ، لكن السائق قال : حتى لو حدثت جريمة قتل ..

« إن الأسلوب عتيق لكن ما زال فعالاً .. كيف عرف

أن هذه جريمة قتل وليست ميتة عادية ؟ لقد سألته عن هذه النقطة بالذات فقال إن الخادمة (آن) أخبرته أن الآنسة (سارة) قتلت ..

« كيف عرفت (آن) هذا ؟ لقد استجوبتها بدورها فقالت إن الجو العام يوحى بالقتل .. لا بأس .. سأقبل هذا التفسير .. لكن (آن) لم تكن مع أحد عندما ماتت ليدى (فريوورد) .. لا أحد يعلم أين هى .. (آن) قادرة على دخول أية غرفة لتضع عنكبوتًا أو سيجارًا سامًا ، أو تشعل حريقًا أو تضع سمًّا فى زجاجة دواء ..

« والآن تذكّروا أغنية الخنفسة التى احترق بيتها ..»

« مات كل أطفالك ما عدا واحدة »

اسمها (آن) ، وقد اختبأت تحت المقلاة .. »

« إذن هناك واحدة تدعى (آن) هى الوحيدة التى نجت من الحريق ..

من هى (آن) هذه ؟ »

ودار ببصره على الجالسين مستمتعًا بحيرتهم، وقال :

ـ « بعد هذا يوجد طبيب يشبه القرد متهم بدسّ السمّ أو كتابته .. متى حدث من قبل أن صادفنا قردًا فى القصة ؟ »

هتفت (عبير) فى انبهار :

ـ « القرد دخّن الطباق ! »

أشار لها بإصبعه السبابة بمعنى (لقد وجدتها !) ، واستطرد :

ـ « إن انتقاء كلمات الأغانى دقيق جدًا كما ترون .. هناك قرد هو اللورد .. وقرد آخر هو الطبيب .. ما معنى هذا ؟ معناه أن هناك وريثًا لا نعرفه للورد (فريوورد) ، فى الغالب رزق به حين كان فى الهند ، وعاد الوريث متخفيًا ليلعب دور طبيب الضيعة ، ويرتب خطته الجهنمية مع زوجته التى عملت هنا كخادمة اسمها (آن) .. كانت خطته استئصال الورثة جميعًا ، وفى الوقت المناسب يظهر ليعلن أنه ابن اللورد من زوجة سابقة ، ويطالب بإرثه !

صاح المفتش العجوز (رتشارد كوين) منبهرًا :

ـ « أحسنت يا بنى ! لقد حللت اللغز فى ساعات معدودة ! »

هبَّ الطبيب بدوره ، ولم يكن منبهرًا بالمرة .. قال مبهوتًا :

ـ « أى حلّ ؟ كل هذا هراء فى هراء .. لا يمكنك أن تجد دليلاً على حرف مما تقول .. »

قال (كوين) دون أن يتزحزح لحظة :

ـ « إن بضع مكالمات هاتفية تضع النقاط على الحروف .. وطبعًا لا بد أنك جئت معك ببضع عناكب سوداء من أسفارك .. »

هنا دق جرس الهاتف ، فردّ (هنرى) ، ثم نادى (كوين) كى يتلقى المكالمة .. وقف المخبر الأمريكى يصغى لمحدثه مصدرًا أصواتًا من طراز (همم ؟ هم ! أوه آه) .. كانت الأخبار سيئة .. بدا هذا على وجهه ، خاصةً حين عانق السماعة بذقنه ومدّ يده يتلمس علبة التبغ .. وأشعل لنفسه واحدةً مهمومًا ..

وضع السماعة وقال وهو يتحاشى نظراتهم :

ـ « الصيدلى قال بالفعل إن هناك من اشترى منه بعض السيانيد (لقتل عش دبابير) ، وإن الشخص ذاته اشترى دواء فاتحًا للشهية .. »

تساءل (هولمز) الذى يجهل كل شىء عن السموم .

ـ « وما دخل فاتح الشهية هنا ؟ لو سمحت لى بقول هذا .. »

ـ « لو لم ترجَ الزجاجة جيِّدًا لترسبت فى قاعها جرعةَ جيدة جدًا من الستركنين .. »(*)

كان آخر المتكلمين هو (هركيول بوارو) طبعًا ..

تساءل (هولمز) من جديد :

ـ « ومن كان هذا الشخص يا سيدى ؟ »

ـ « إنه ... »

ودارت عينا (كوين) بين الموجودين :

ـ « إنه (مايكل فريوورد) نفسه .. » !

(*) حقيقة ..

* * *

الجزء الخامس

حدث مثل هذا فى قريتى

تقوم بالتحقيق

(مس ماربل)

١١ - عانس لطيفة ..

فيما مضى وضع (سومرست موم) الأديب الإنجليزى العظيم قواعد صارمة للقصة البوليسية من طراز (من فعلها ؟) .. وليس السبب هو أن (سومرست موم) يكتب هذه القصص لا سمح الله ، ولكن السبب أنه من أهم عشاقها ، ولم يكن ينام دون قراءة واحدة منها ..

لهذا تمنى (موم) لو يجد القصة البوليسية التى تلتزم بهذه القواعد :

١ - لاتقتل أكثر من واحد فى القصة .

٢ - يجب أن تكون للقصة بداية واضحة كقواعد الدراما الأرسطوطالية ، وبعبارة أخرى : لا تبدأ بجثة هامدة .

٣ - يجب أن تعطى القارئ فرصة ليعرف ويحبّ القتيل قبل موته ، لأنه لن يتعاطف مع من يلقاه للمرة الأولى ميتًا .

وبمقاييس (موم) من الواضح أنه لن يحب هذه القصة كثيرًا ، لأننا غارقون فى بحر من الجثث ، ولأننا لم نتعرف أحدًا باستثناء (مايكل) بدرجة تسمح لنا بحبه ..

* * *

لم تكن هذه الخواطر فى ذهن (عبير) وهى ترمق حيرة (كوين) وارتباكة .. لقد هوى المخبر الأمريكى العظيم من عليائه أمام علامات الاستفهام العديدة ..

هذا يجعل (ميجريه) هو الأقرب إلى الصواب .. كل هذا من تدبير (مايكل) .. لكن (مايكل) مات فهل يكفى هذا لتبرئته ؟

كلا بالطبع .. إن القتلة يحترقون مثل سواهم ، ولربما نام (مايكل) ولفافة تبغ مشتعلة بين أنامله .. تسقط على الملاءة .. بوم !

إنها مصادفة نادرة .. لكنها هى التفسير الوحيد ..

وسالت دموعها وهى تفكر فى المحبَّ الذى فقدته .. قاتل ربما ، لكنه فعل هذا من أجلها على كل حال .. إن

هذا يمسّ غرور المرأة حتى وإن أعلنت رفضها لكل هذا .. (ما يكل) قاتل .. (ما يكل) وغد .. (مايكل) أحبها بصدق .. ثلاثة نقاط .. لا تجد بينها أى تعارض .. تخاف القاتل .. تكره الوغد .. تبكى بحرارة من أجل من أحبها ..

وفى الصباح - صباح (لندن) الشبيه بـ يلنا - خرجت إلى الحديقة ، ووقفت جوار نافورة الماء تتذكر كلمات (مايكل) الرقيقة لها .. نظرت لمياه النافورة الرقراقة ، ورأت شيئين كانت تتوقعهما .. مسدس هناك فى القاع .. وزجاجة دواء .. غالبًا هو فاتح للشهية كذلك ..

هذه هى التقاليد فى هذه القصص ، ومن الغريب أن أحدًا لم يفكر فى إلقاء نظرة على هذه المياه .. مدّت يدها برفق وأخرجت الشيئين.. بصمات ؟ لا قيمة للبصمات تحت الماء ، وحتى لو كانت لها قيمة سيقول (بوارو) إنه لا بصمات لأن الجميع يلبس قفازات ..

وقفت تتأملهما ، ثم فكرت فى العودة إلى القصر حين رأت (جون) قادمًا .. كان يترنح فى سيره

كعادته فى الآونة الأخيرة .. لقد تلقى الصبى بضع صدمات أذهبت صوابه ..

قال لها وعينه اليمنى ترتجف :

ـ « (ملدريد) .. كلهم رحل .. أنت لن تتخلى عنى أبدًا .. قوليها ! »

ـ « لن أفعل يا (جون) .. »

ورق قلبها حتى لأوشكت أن تحتضن رأسه الصغير وتربت على كتفه ، لكن الصبى لم يعد طفلاً .. إنه واقف الآن على باب المراهقة ، وصار من الواجب معاملته بتحفظ ..

قال لها وهو يمسك بيديها المبتلتين :

ـ « أنا أحبك يا (ملدريد) .. بعد تسع سنوات سأكبر ويمكننا أن نتزوج ! »

ضحكت للفكرة .. كأن الأمور ستعود لنصابها بعد تسع سنوات .. فقط على (ملدريد) أن تنتظر ولاتكبر أكثر ..

قالت وهى تداعب شعره الأشقر :

- « أولاً لا تنادنى من دون لقب آنسة .. ثانيًا : أنا عجوز جدًا بالنسبة لك يا صغيرى .. إن (ملدريدك) تنتظرك الآن فى مكان ما .. ربما تلعب (الأستغماية) مع أترابها أو تثب بالحبل ..

لكن ثق يا صغيرى من أننى لن أتركك وحدك ، حتى أطمئن إلى أنك صرت قادرًا على تحمّل حياتك ومواجهتها .. »

ونظرت بطرف عينها ، فوجدت أن الفتى ليس وحيدًا حقًا .. هناك كونستابل يقف بعيدًا يرقبه بعينى صقر ، وهناك رجل شرطة يرمقهما من نافذة بمنظار مقرب .. هذا طبيعى .. لو كان الإرث هو سبب مسلسل الجرائم ، فما زال الصبى فى خطر داهم ..

هنا رأت (هنرى) رئيس الخدم يدنو منها حيث وقفت ، ولم يكن وحده .. كانت معه سيدة عجوز ذات شعر كالثلج ، تضع على كتفيها (بول أوفر) أزرق بسيطًا مريحًا ، وتحمل حقيبة عتيقة ..

كان لها وجه عجوز لكن عينيها كانتا تتواثبان حيوية ومرحًا .. كأن طفلاً يلهو تحت هذه التجاعيد ..

قال (هنرى) فى تهذيب :

ـ « معذرة يا آنسة .. لكن المس (ماربل) ترغب فى لقائك .. »

مس (ماربل) ؟ هنا ؟

هذه هى القشة التى قصمت ظهر البعير ، وقد أوشك القصر على أن يتحول إلى (أوتوبيس) من (أوتوبيساتنا) ..

توترت ذراع (عبير) على كتف الصبى ، وتذكرت أن الإنجليز يقبلون المصافحة عند أول تعارف فقط ، وبالطبع لا قبلات على الخدين من قبلات العرب وحوض البحر المتوسط ..

صافحتها ، وأتم (هنرى) التعارف ، ثم سألتها :

ـ « هل كنت مارة بالمصادفة ؟ »

ـ « بل أبرق لى المفتش (بلاكفيلد) طالبًا رأيى .. يا له من قصر جميل ! كنت أعرف قريبًا لـ (إيميلى

فريوورد) من قبل .. يالها من خسارة أن نفقد شابة جميلة مثلها .. »

* * *

كانت مس (ماربل) واحدة من أهم الشخصيات التى أوجدتها (أجاثا كرستى) ، واحتلت بجدارة مكانها إلى جوار مخبرى (أجاثا كرستى) المعروفين : (هركيول بوارو) و (باركر باين) ..

إنها عانس عجوز لطيفة خجول محافظة جدًّا ، ومن نواح عديدة تشبه (أجاثا كرستى) كثيرًا ..

تستخدم دومًا أسلوب (لقد حدث شىء كهذا فى قريتى) ، وقريتها هى (مارى سانت ميد) التى تلخص العالم كله ..

تفترض (أجاثا كرستى) أن كل الجرائم فى الكون حدث مثلها فى (مارى سانت ميد) القرية الصغيرة ، وبما أن الإنسان هو الإنسان فى كل مكان ؛ فإن ما حدث فى القرية حدث فى المدينة ..

وتعتمد مس (ماربل) على ذاكرتها الحديدية ومعرفتها لكل أسرار قريتها ومشاكلها .. صحيح أنك تجد أحيانًا افتعالاً واضحًا وتعنتًا فى إيجاد وجه تشابه بين خبراتها وما تحقق فيه من جرائم ، لكنك تقبل هذا من مبدأ (دعنى أنخدع ـ دعنى أخدعك) .

بقى أن نقول إن مس (ماربل) تكشف كل قتلة قصصها ، وهى جالسة إلى مقعدها المفضل تنسج (التريكو) من خيوط الصوف ..

* * *

اجتمعت الأسرة البوليسية كلها فى قاعة المعيشة ، بينما راحت مس (ماربل) تنسج التريكو ، ومن حين لآخر تهرش أذنها بطرف الإبرة غير المدبَّب ..

قال (هولمز) وهو يشعل غليونه الكهرمانى .

ـ « لا أنوى أن أكون فظًا وأطرد الآنسة (ماربل) ؛ لكنى أرى أنها لن تضيف شيئًا إلى غموض هذه القضية .. »

ابتسم (بوارو) وقال :

ـ « بالعكس .. إنها صنيعة (أجاثا كرستى) التى كتبت شخصيتى .. وأنا أعرف بالضبط إمكاناتها العقلية .. إن الآنسة (ماربل) تملك خلايا رمادية تعمل جيدًا .. »

هنا دخل القاعة المفتش (بلاكفيلد) ، وتأمل المكان وغمغم بما معناه (ما شاء اللّه) أو (العدد فى الليمون) ، ثم قال :

ـ « إليكم آخر الأخبار .. ثمة خادم مختف منذ يومين .. لا أثر له على الإطلاق .. »

ـ « غريب .. وما اسمه ؟ »

ـ « اسمه (لورانس) ، وهو شاب أسكتلندى وديع ولا غبار عليه ، ولا يمت بصلة قربى للورد .. »

ثم نظر إلى (عبير) وأشعل غليونه ، وقال :

ـ « بالمناسبة .. هل كنت مخطوبة لـ (مايكل فريوورد) ؟ »

بهتت (عبير) للسؤال .. بالطبع لا ..

- « لا .. »

- « أعنى هل تبادلتما خاتمين أو أى شىء مما يفعله العشاق ؟ »

قالت بإصرار :

- « لا .. »

نفث الدخان بكثافة أكثر ، وقال :

- « بعبارة أخرى .. هل كان (مايكل) يلبس أيةَ خواتم فى يديه ، وهل كان له ضرس محشو :

هزّت رأسها :

- « أنا واثقة من إجابة السؤال الأول : لا : أما عن السؤال الثانى فمهما كانت علاقتنا حميمةً لا أظن أن تتضمن مرافقته إلى طبيب الأسنان .. »

مط شفتيه السفلى ، وغمغم وهو يشعل غليونه :

- « طبيب الأسنان ينفى تمامًا أنه رأى فم (مايكل) من الداخل .. لكن الجثةَ المتفحمةَ التى لدينا لها ضرس محشو ، وفى يدها اليمنى خاتم .. »

قال (بوارو) وهو يضغط على حروف كلماته :

ـ « يمكن القول إذن إن الجثـة التى لديكم ليست جثة (مايكل فريووِرد) ! »

ـ « إذن لمن تكون ؟ »

قال (هولمز) فى ثبات ، وبلهجة مسرحية :

ـ « واضح لكل عقل راجح أنها جثة (لورانس) .. الخادم المختفى ! »

★ ★ ★

١٢ ـ قصة مماثلة ..

وساد صمت رهيب ..

* * *

بعد دقائق قطع (ميجريه) الصمت قائلاً :

ـ « وما معنى هذا ؟ ولماذا يحرق أحدهم جثة (لورانس) ؟ »

قالت مس (ماربل) بصوتها الرفيع المرتعش :

ـ « لقد حدثت قصة كهذه فى قرية (مارى سانت ميد) .. »

بملل مهذب تساءل (إيلرى كوين) :

ـ « حقًا ؟ ياللطرافة ! »

لم تهتم مس (ماربل) بما قال وواصلت الحياكة .. قالت :

ـ « كانت (إلسى بامير) وريثة ثرية تعيش فى قصر منيف بالقرية .. وكان فى القصر أربعة ورثة لها هم زوجها وابنـة عمتها وابنها وأختها .. وفى يوم بدأت سلسلة من جرائم القتل فى القصر بدأت بابنـة العم ثم الزوج ثم الابن ثم (إلسى بامير) نفسها ..

« تنوعت أساليب القتل بين السمّ والرصاص لكن ابنة العم قد احترقت فى غرفتها حتى تفحمت ..

« وكان من الطبيعى أن تحوم الشبهات حول الأخت ـ آخر وريث ـ واعتقد المفتش (بلوفيلد) أنه قد قبض على العصفور ..

« لكن المشكلة بالنسبة له كانت هى : لماذا تجعل الأخت موقفها بهذا الضعف ؟ لم يوجد قط قاتل بهذا الحمق منذ عُرف القتل ..

كان التردد خطأ جسيمًا ، لأن الأخت قتلت بعد يومين إذ سقطت من الشرفة .. أعنى أن هناك من دفعها طبعًا .

وبدا لرجال الشرطة أن الجريمة بلا حل ، ما دام

كل المستفيدين منها قد هلكوا ، وشاع فى قريتنا أن الشيطان ينتقم من هذه الأسرة ، وأن قوى خارقة هى التى قتلت هؤلاء ..

بعد هذا بعامين ظهرت ابنة العمّ لتطالب بإرثها .. قالت إنها لم تمت وإنها لم تكن فى القصر أصلاً فى ذلك اليوم .. إن التى احترقت حتى تفحمت هى خادمة فى القصر ..

حاول رجال الشرطة إثبات الجرم على ابنة العمّ .. لكن المشكلة هى أن القضية قد أغلقت ، وتم التخلص من أكثر أحرازها ، ومات شاهدان .. باختصار صار مستحيلاً إعادة التحقيق لإثبات أن ابنة العمّ هى القاتلة ..

« وبحكم من القضاء البريطانى حصلت ابنة العمّ على كل ما كانت (إلسى) تملكه .. والغريب أن الكل كان واثقًا من أنها قتلت ثلاثة أو أربعة أبرياء ، لكن ما باليد حيلة .. »

سألها (ميجريه) مندهشًا :

ـ « وظفرت بالجريمة الكاملة ؟ »

ابتسمت مس (ماربل) ، وداعبت أرنبة أنفها بالإبرة :

ـ « ليس بالضبط .. ثمة نوع آخر من العدالة لا تقيده القوانين .. لقد ماتت بسرطان المعدة بعد عام واحد ! »

ـ « حمدًا لله ! »

هنا نهض (بوارو) وسألها :

ـ « هل تعتقدين بحق أن هذا ينطبق على ما حدث هنا ؟ »

ـ « أنا واثقة من ذلك .. لقد فرّ (مايكل) بعد إنهاء جرائمه ، وبعد ما دسّ الستركنين في زجاجة دواء أخيه .. لكنه سيعود حتمًا بعد عام أو اثنين أو ثلاثة ليعلن أنه لم يمت .. (من قال إننى مت يا حضرة المفتش ؟ وبأية جريرة تحرموننى من الإرث لمجرد أن هناك من احترق فى غرفتى ؟) .. »

تأملتها (عبير) فى فضول .. كانت دائمًا تجد لونًا من الافتعال فى طريقة مس (ماربل) فى التحقيق ..

لو أن قنبلةً هيدروجينيـة سقطت من السماء لتحرق ذيل الكلب ، فيثب ليسقط فى طبق الحساء ، ليموت اللورد (هارتفورد) بسبب الإشعاع .. لو حدث هذا لأكدت مس (ماربل) أنها عاشت قصة مماثلة فى قريتها (مارى سانت ميد) ..

تساءل (كوين) وهو يضع ساقًا على ساق :

ـ « وكيف نثبت هذا ؟ وما هى الخطوة التالية ؟ »

قالت مس (ماربل) فى رقة :

ـ « أولاً : يتم فحص الجثة المتفحمة بعنايـة كـى يمكن الشهادة فى المحكمة على أن (مايكل) لم يمت .. ثانيًا : يستطيع رجال (سكوتلانديارد) البحث عـن (مـايكل) ، ومن المؤكد أنـه دان منـا لأن (جـون) آخر الورثة ما زال حيًّا يرزق .. »

ـ « هذا معقول .. »

وجلس الجميع صامتين ..

من الواضح أن العانس العجوز قد حلت اللغز الـذى أرهق أعظم مخبرى القصص .. لم تبق سوى خطوة بوليسية واحدة هى نصب كمين لـ (مايكل) ..

وكان أول من أعلن ضيقه هو (بوارو) .. جلس إلى أريكة فى طرف المكان ، ودفن وجهه فى يده ، وانطفأ بريقه الوهاج ..

دنا منه (هاستنجز) ولمس كتفه مشجعًا ، فغمغم (بوارو) .

ـ « فجأة وجدت الحياة مملة لا تطاق .. لم أعد أرغب فى مزيد من الحياة .. إننى عجوز .. إننى عجوز .. عجوز .. »

نهضت (عبير) وربّتت بدورها على عنقه ، وهمست :

ـ « أنت رجل ذكى لكنك طفل .. طفل لا يقبل الخسارة ولا يفهمها ، وهذه من علامات عدم النضج .. »

ـ « لقد نسيت الفشل منذ زمن بعيد .. لم أعد أذكر أن مذاقه بهذه المرارة .. رباه ! »

قالت له همسًا وهى تشير للآخرين :

ـ « لقد فشل (كوين) و (هولمز) و (ميجريه) وكل رجال (سكوتلانديارد) .. وهذا يعزيك بعض الشىء ..»

- « إنهم مجموعة من الحمقى .. فشلى هو الفشل الوحيد المؤسى ذو الأهمية وسط كل هؤلاء ! »

هزَت رأسها ..

حتى وهو فاشل لا يكف عن الغرور المستفزّ ..

★ ★ ★

قال المفتش (ميجريه) بلهجته الفرنسية الملتوية :

- « الآن يعرف كل منكم دوره .. »

قال (بلاكفيلد) وهو يشعل غليونه :

- « لو ترك (مايكل) هذه الفرصة لكان أحمق ! »

تساءل (كوين) وهو يحشو مسدسه :

- « وماذا لو استعمل بندقية صيد أو بندقية تلسكوبية ؟ »

- « لن يفعل .. كل سلاح فى هذه القرية معروف ، وموجود فى حوزتنا الآن .. هذه ليست (نيويورك) بلدك يا عزيزى ، حيث يمكن شراء (مترليوز) من أول محل بقالة .. »

ابتلع (كوين) العبارة الساخرة ، وراح يصغى إلى التعليمات التى يوجهها (هولمز) لـ (عبير) :

ـ « معًا ـ أنت و (جون) ـ تصعدان إلى التلّ وحدكما .. ستكون معك حقيبة بها لوازم النزهة والطعام .. وسوف تمضيان الوقت هناك فى العراء معرضين لأى شىء .. »

قالت (عبير) فى تهذيب :

ـ « مناورة غريبة بعض الشىء .. »

ابتسم (هولمز) وأخرج مسدسه العتيق ، وأعاد حشوه :

ـ « سنكون جميعًا متوارين وراء الصخور ننتظر ظهور (مايكل) الذى لن يفوّت فرصة كهذه لقتل أخيه .. »

ثم أخرج كتاب أغانى الأطفال ، وأشار إلى صفحة منه :

ـ « (جاك) و (جيل) ..

تسلقا التل ..

كى يملأ دلوًا من الماء ..

سقط (جاك) وهشَم التاج على رأسه ..

وبعده تدحرجت (جيل) .. »

وابتسم وهو يضع الكتاب فى حقيبتها :

- « هكذا ! جريمة رائعة محكمة جاهزة للتنفيذ .. (جون) هو (جاك) وأنت (جيل) طبعًا .. »

- « وكيف سنسقط ؟ »

- « لا أدرى .. سيجد (مايكل) طريقة ما .. »

- « ربنا يستر ! »

ومدَت يدها تمسك بيد (جون) ، ورفعت رأسها لتجد الجميع يبتسم لها مشجعًا ..

ابتسمت بدورها ، وحملت الحقيبة ، وغادرت القصر متجهة إلى التل ..

كان الصعود عسيرًا ، لكنها تحاملت على نفسها ، وراحت تعين (جون) الصغير على التسلق ..

فـى النهايـة وقفـا يلهثـان علـى القمـة ، وهنـاك ـ للمصادفة السعيدة ـ كان بئر ماء من آبار القصص ذات الحبل والبكرة والدلو ..

لو فوّت (مايكل) فرصة كهذه لكان أحمق ..

لكنها لم تصدّق لحظة أن (مايكل) فعل كل هذا .. (مـايكل) لا يصلـح إلا ضحيـة .. مـن الواضـح أن فهمها للناس ما زال فى بدايته ، وما زال بوسـعها أن تُخدع أكثر من مرة ..

جلسـا بضع دقائق ، لكن نظرات (جون) المفتونة لها ضايقتها .. هذا الصبى متيـم بهـا حقًـا ، فلو كـان أكبر سنًا لخنقته واستراحت ..

بعد دقائق قال لها :

ـ « هل أنت سعيدة معى هنا ؟ فى الهواء الطلق ؟ »

ـ « بالتـأكيد .. »

وأضافت فى حذق :

ـ « حين يكون المرء مع أخ صغير مثلك ! »

صمت هنيهة ، ثم فجأة اتسعت عيناه ، وصاح :

- « هل يمكنك اللحاق بى بين هذه الصخور ؟ »

- « بالطبع .. لـ ..... »

لم تجد الوقت الكافى للكلام ؛ لأن الصبى راح يركض بين الصخور .. هذا الأحمق ! إن النهاية واضحة دون جهد كبير .. سيهشم عنقه ..

- « انتظر أيها المعتوه ! »

وراحت تركض وراءه .. الحقيبة فى يد واليد الأخرى تمسك بقبعتها كى لا تطير .. ونظرت للوراء ، ثم وجدت أن أحوط الحلول هو اللحاق به ..

« تبًا لهؤلاء الصبية ! »

المشكلة أن السادة المتوارين وراء الصخور ، بكروشهم وأمراض شرايينهم لن يتمكنوا من اللحاق بهما ..

تبًا للصبية !

أخيرًا لحقت به ، وكان واقفًا على جرف عال ، والجرف يطلّ على منزل ريفى صغير له مدخنة



وراحت تركض وراءه .. الحقيبة فى يد واليد الأخرى تمسك بقبعتها كى لا تطير .. ونظرت للوراء ، ثم وجدت أن أحوط الحلول هو اللحاق به ..

عملاقة .. منزل من تلك المنازل التى يرسمونها فى قصص الأطفال بسقفها المنحدر على شكل رقم (٨) ..

هرعت تقف بجواره ، واحتبس تنفسها فلم تستطع أن تلومه ..

من هنا كان المشهد جميلاً بحق ، لكن المدخنة البارزة عند قدميها كانت تذكرها بفم الموت المفتوح ..

قالت له وهى تجلس :

ـ « كن فخوراً بعملك .. لقد فقدنا أصدقاءنا جميعًا .. »

قال لها وهو يجلس بدوره :

ـ « أردت ألا يرانا أحد .. لن أستمتع بصحبتك بينما كل مخبرى العالم يراقبوننا .. والآن أريد سماع أغنية أخرى من الكتاب .. »

ابتسمت وأصلحت من شأن ثوبها ، ثم مدت يدها فى الحقيبة وأخرجت زجاجة عصير العنب فجرعت بعضه ، ثم فتحت الكتاب .. كانت هناك قصاصة ورق موضوعة لتميز صفحة بعينها ، ففتحتها وقرأت الأغنية فى سرها :

ـ « (هيير ـ بيير) .. منظف المداخن ..

تزوّج امرأة ولم يستطع إبقاءها معه ..

تزوج أخرى لكنه لم يحبها ..

لذا دفعها من فتحة المدخنة ! »

نظرت من أعلى الجرف إلى المدخنة ، وارتجفت ..

لماذا هذه الأغنية بالذات الآن يا (جون) ؟ »

* * *

ورفعت عينيها نحوه وهتفت :

ـ « إنه أنت من البداية .. أليس كذلك ؟ »

ـ « عم تتحدثين ؟ »

ـ « الجريمة كلها كانت تحمل طابع أغانى الأطفال ، وكان هذا يشير إليك .. لكننا تجاهلناه لأن الأطفال أبرياء دائمًا .. لا يتصور أبدًا أنهم سفاحون .. »

نظر لها فى عدم فهم ، وتقلص فمه .. فسألته :

ـ « لماذا نويت قتلى أنا الأخرى ؟ »

مدّ يده فى الحقيبة ، وأخرج سكينًا هائلة الحجم ، وهذه المرّة لم يحاول أن يدعى البراءة .. قال بصوت متحشرج :

- « كنت أكره الكبار جميعًا ، وأردت أن أتخلص منهم كى يخلو لى الجو وأظفر بالميراث وحدى حين أكبر .. إننى أحمل جذور وطباع أمى ، ولم يصف أحد أمى باللطف قط ! لم أحبَّ فى الكون سواك ، وتمنيت كثيرًا أن أتزوجك لكنك رفضت حبّى ببساطة ، واتهمتنى بأننى طفل أخرق .. حسن ! لقد جاءت ساعة العقاب ! والعقاب هو أن تثبى إلى المدخنة كما تقول الأغنية ، بعدها أعود باكيًا صارخًا لأخبرهم بأنك هلكت .. إن من يحب بقوة يكره بقوة وإلى درجة القتل ! »

وأشار لها إلى المدخنة إشارة بليغة جدًا ..

سألته مرتجفة وهى تنهض فى حذر :

- « كـ .. كيف حصلت على السيانيد ، وكيف وجدت العنكبوت ، وكيف حصلت على المسدس والستركنين ؟ مستحيل أن يتاح هذا لصبى مثلك ؟ »

ـ « بل هو متاح لأننى صبى ! » ـ ولوّح بالسكين فى وجهها ـ »

« لا أحد يأخذ حذره من الصبية .. (مايكل) الأحمق اشترى السيانيد لعش دبابير .. هذا حقّ .. أبى كان يملك مجموعة عناكب سامة يحفظها فى حوض زجاجى ويربى سلالاتها .. أنا أعرف أنه بوسع المرء الحصول على الستركنين من أى فاتح للشهية ، وقد قمت بإرغام الكلب على تذوقه .. كان هذا أعقد جزء فى الموضوع ! »

تساءلت وهى تتراجع أكثر نحو الحافة :

ـ « و ... وكلام الطبيب عن القاتل العجوز الأعرج ؟ وجثة (مايكل) التى ترتدى خاتمًا ؟ »

ـ « الطبيب كان أحمق .. هذا يحدث كثيرًا ، و (مايكل) كان يرتدى خاتمًا بالفعل .. هذا يحدث كثيرًا أيضًا .. وكان له ضرس محشو .. حشاه فى (ليفربول) حين كان هناك .. »

تساءلت محاولة كسب الوقت :

- « ولماذا جلست الليدى فى البانيو بثيابها ؟ ومن قام باستبدال قفل نافذة الحمام ؟ »

- « أنا استبدلت القفل .. هذا ليس صعبًا .. والليدى جلست فى البانيو بثيابها لأننى هددتها بالمسدس كى تفعل هذا ! »

- « أنت مجنون ! »

- « هذا لا يحتاج إلى استنتاجات كثيرة يا عزيزتى .. والآن .. هيًا بنا ! »

ولم تدر متى سمعت الطلقة ، ولا متى طارت السكينة من يد الصبى ، لكنها نظرت للوراء لترى (هولمز) والمسدس فى يده والدخان يتصاعد منه ، بينما (بوارو) جواره يقول :

- « حين رأيت القصاصة تطلّ من كتاب الأغانى ، وقرأت أغنية المدخنة هذه ، عرفت أين أجدكما .. »

وابتسم فى ثقة :

- « هو ذا (بوارو) يستعيد لقبه كأفضل مخبر فى العالم ! »

الآن جاء (المرشد) لاهثًا من عناء تسلق الصخور ليخبرها بأن القصة قد انتهت ، وأن عليها توديع أصدقائها الجدد ..

قال لها وهو يداعب قلمه :

- « ها هى ذى قصة من طراز (من فعلها ؟) مناسبة جدًا ، وكالعادة كان الجانى هو آخر من تتوقعين .. »

صافحتهم جميعًا مودعة ، فقال لها (كوين) وهو يلثم يدها :

- « عودى فى أى وقت لتجدى لغزًا غامضًا ينتظرك .. أما نحن فسنواصل مهمتنا فى قتل الغموض حيث وجد .. »

لم تقل شيئًا ..

فقط ابتسمت ولحقت بـ (المرشد) ..

★ ★ ★

وصحت من رحلتها لتجد أن ساعة واحدة قد مرّت بها ..

حان موعد النوم .. نوم بلا أحلام الآن أحلامها استهلكت كلها فى (فانتازيا) .. سيكون الغد عسيرًا ، ووحش الواقع يزوم منتظرًا القرابين البشرية ..

المستشفى .. (شريف) .. الطفلة .. الحماة ..

لكنها على الأقل تملك حلمًا جميلاً تواجه به غابة الحياة هذه ..

وفى القصة التالية تفرّ (عبير) إلى غابة أخرى اسمها (شيروود) لا يحق لأى غريب أن يعبرها ..

كان هناك رجل يتوارى بين الأشجار .. اسمه (إيرل لوكسلى) .. لكن لنا أن نعرفه باسم (روبين هود) .

(تمت بحمد الله)



مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

روايات
مصرية للجيب

من فعلها ؟



د. أحمد خالد توفيق

تحتل قصص (من فعلها؟) موضعًا بارزًا فى أدب المغامرة ، خاصة حين يكثر القتلى وتتزاحم علامات الاستفهام .. لكن أن يجتمع لحلّ اللغز كل من (بوارو) البلچيكى و (هولمز) البريطانى و(ميجريه) الفرنسى و (كوين) الأمريكى ؛ فهذا وضع فريد لايحدث إلا فى (فانتازيا) .

الثمن فى مصر ١٥٠ قـ
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥١ - ٢٥٨٦١٩٧

